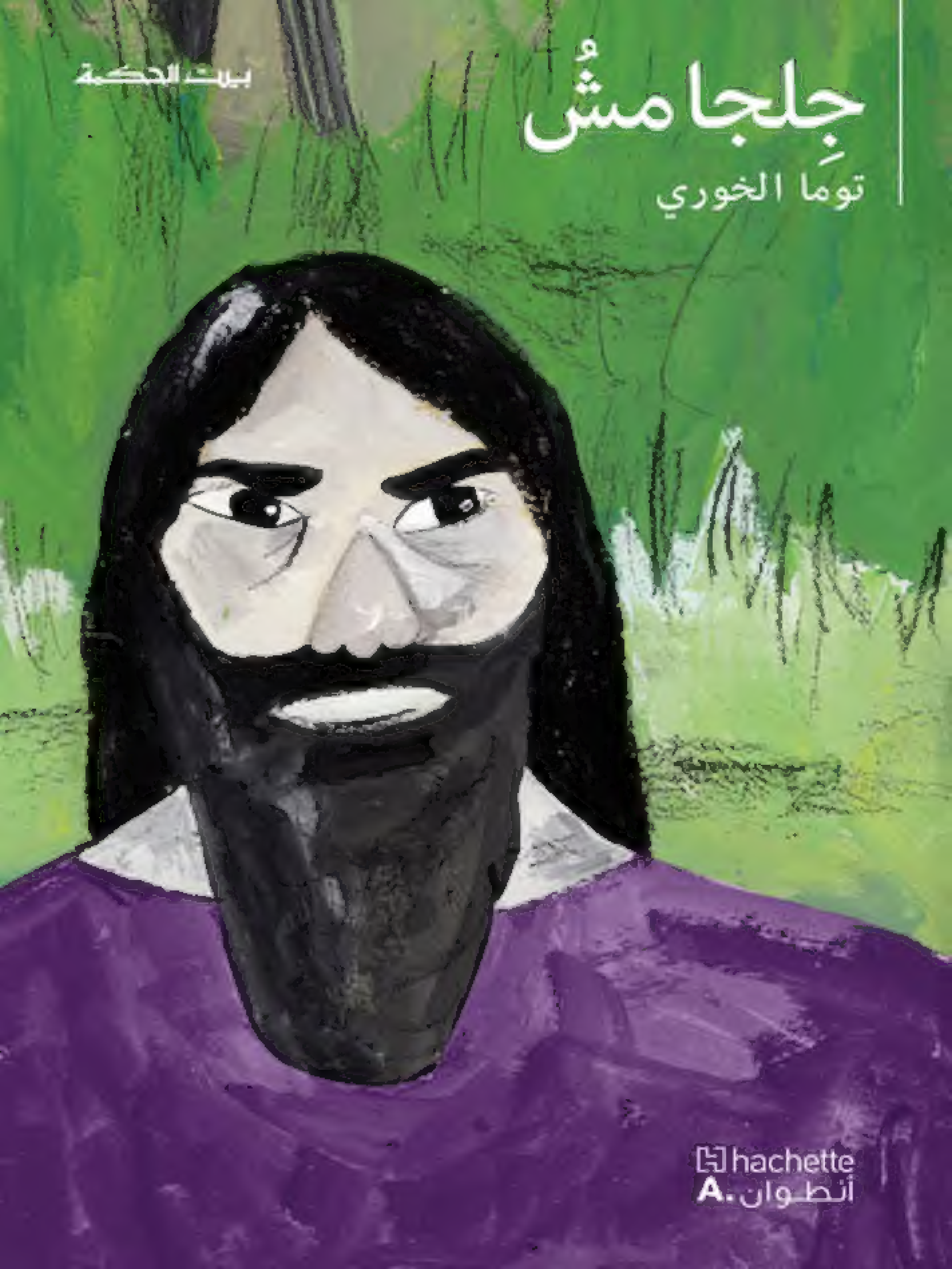
بيت الحكمة

جِلجامشُ

توما الخوري



hachette
أنطوان .A

جلجامش

بطلُ ما بينَ النّهرَيْنِ

بيت الحكمة
بيروت

جِلجامش

توما الخوري

الضَّبط اللّغويّ والاستثمار التّربويّ: خليل السّيقلي
الغلاف، التّصميم والرّسم: ساندرا غصن
الدّاخل، الرّسوم: جوزف دكّاش

هاشيت
أنطوان A.
تربية

جلجامش

بَطل ما بيْن النّهريْن

متابعة النّشر: نيكول عقيقي المصوّر

التّصميم المنهجيّ: Christie's *for printing and advertising*

ر.د.م.ك. 5 – 320 – 26 – 9953 – 978

النّاشر: هاشيت أنطوان Hachette Antoine

الطّبعة الأولى 2011

ص.ب. 0656-11، رياض الصّلح

2050 1107 بيروت، لبنان

العنوان التّجاريّ: سنّ الفيل، حرج تابت، بناية فورست

هاتف: 483513 – 1 – 961

بريد إلكترونيّ: info@hachette-antoine.com

«أورخويُ»

لَكأنّها، في السّهلِ **السُّندُسيِّ** الرّحيبِ الّذي يَحتضِنُها بُقعةٌ سوداءُ على **مُلاءةٍ** خضراءَ. هَذا إذا نظرتَ إلَيها مِن بعيدٍ... غيرَ أنّكَ، كُلّما دنَوتَ مِنها، بانَتْ بيوتُها الصّغيرةُ المروّسةُ القِبابِ، بحجارتِها الفَخّاريّةِ المبنيّةِ **بالصّلصالِ والقيرِ**، أشبَهَ بخلايا النّحلِ، أو بمخيّمٍ لجيشٍ على أُهبةِ التّحرّكِ والرّحيلِ، لولا السّورُ العظيمُ الارتفاعِ، **الكابي** اللّونِ، الّذي يَربضُ

السّندسيُّ: نسبةٌ إلى السّندسِ وهو الحريرُ.

المُلاءةُ: المِلحفةُ.

الصّلصالُ: الطّينُ اليابسُ.

القيرُ: الزّفْتُ.

الكابي: المُغبرُّ القاتِمُ.

حَولَها بِثِقْلِهِ فوقَ المرتفَعِ الرّمليّ، سادّاً أمامَها كلَّ مَنفذٍ، مجمِّداً كلَّ حركةٍ، وحائلاً دونَها وفيضاناتِ «الفُراتِ» العظيمِ بجوارِها.

تلكَ هي «أورخويُ» أو «أُرْكُ» المدينةُ السّومريّةُ، عاصمةُ المَلكِ «أَنْمِرْكارَ».

نحنُ في زمنٍ **موغِلٍ** في القِدَمِ، يَتقهقرُ إلى أوائلِ الألفِ الرّابعِ قبلَ الميلادِ... الوقتُ قُبيلَ الغروبِ... والمَلكُ أَنْمِرْكارُ يَروحُ ويجيءُ في غرفتِهِ، قلِقاً بسببِ حُلمٍ رآهُ، يَنتظرُ **العرّافَ** ليُفسّرَهُ له... ويَتباطأُ هَذا بالمجيءِ حتّى يَكادَ المَلكُ يَخرجُ عَن طورِهِ ويَهرعُ إلَيهِ بنفسِهِ... ثُمَّ يَقرعُ مسامعَه وقعُ أقدامٍ متباطئةٍ، ثقيلةٍ، في رُواقِ القصرِ، يواكبُه نقرُ عصاً على الأرضِ... ويَدخلُ العرّافُ، فيُبادرُه المَلكُ بتذمُّرٍ:

ـ تأخّرْتَ أيّها العرّافُ حتّى أسأتُ بكَ الظّنَّ.

موغِلٌ: مبالغٌ، ذاهبٌ بعيداً.

العرّافُ: المنجّمُ.

ـ مولايَ، إنّهُ **داءُ النّقْرِسِ** يُثقلُ قدميَّ، ولولاهُ أوفيتُكَ بسُرعةِ الطّيرِ.

وبعدَ أنِ استمرَّ المَلكُ أنْمِرْكارُ في صَمتٍ طويلٍ لَملمَ خلالَهُ شَتاتَ حُلمِهِ، قالَ:

ـ ليلةَ البارحةِ، بعدَ منتصَفِها بقليلٍ، رأيْتُ حُلماً أزعجَني كثيراً... رأيتُني وابنتي نَنْسونَ نتنزَّهُ على شاطئِ «الفُراتِ». كانَتْ مياهُه تَهدرُ هائجةً، مُزبِدةً، مثلَ حيوانٍ شرسٍ يريدُ افتراسَنا... فالتفَتُّ بجَزَعٍ إلى ابنَتي الّتي كانَتْ تَسيرُ إلى جَنبي، فإذا هي مفقودةٌ. فاستدَرْتُ إلى النّهرِ فإذا نَنْسونُ تَتخبّطُ يائسةً في مَوجِهِ، وتغيبُ عَن نظَري... وغُصْتُ في الماءِ بكاملِ ثيابي أَبحثُ عَنها في الأعماقِ المظلمةِ... ورأيتُها في القاعِ الموحِلِ مستلقِيةً على ظهرِها كالنّائمةِ، منتفخةَ البطنِ، شاحبةً، وفي عينَيْها دموعٌ لا تَزيدُ ولا تَنقُصُ. وضَرَعْتُ إلى الإلهِ أَنْليلَ فوَهَبني القوّةَ، فأخرجْتُها إلى

داءُ النّقرِسِ: داءُ المفاصِلِ وهُو مؤلِمٌ جدّاً ويصيبُ بصورةٍ خاصّةٍ مفاصِلَ القَدَمِ.

الشّاطئِ. وبَينا أنا أرفعُها مِن خصرِها، وأَدلُقُ رأسَها إلى أسفلَ، تدفَّقَ الماءُ مِن فمِها كالشَّلّالِ، وخرجَتْ معَهُ سمَكةٌ ذهبيّةٌ رائعةُ الجَمالِ، فكبُرَتْ، وكبُرَتْ، ثُمّ **عبَّتِ** النّهرَ الّذي خرجَتْ مِنهُ، وعبَّتْني معَهُ... واستيقَظْتُ مِن نَومي وأنا أَسبحُ في عَرَقٍ غزيرٍ. هَذا هو حُلمي أيُّها العرّافُ.

فقالَ العرّافُ، وقَدِ انقلبَتْ **سَحنَتُه** وبانَ الخوفُ على وجهِهِ:

- حُلمُكَ مَولايَ مخيفٌ حقّاً، وإنّي لأَخشى عواقبَهُ. فالسّمكةُ الّتي رأيْتَ تَخرجُ مِن فمِ ابنتِكَ، هي ابنٌ لها سيولَدُ في الغدِ القريبِ...

- ولكنّ ابنتي **عاقرٌ** أيُّها العرّافُ! منذُ عَشرِ سنينَ هي متزوّجةٌ ولَم تُرزَقْ طفلاً!

- ستُرزَقُه، وسوفَ يَنمو هَذا الولدُ بالقامةِ، والقوّةِ،

عبَّتْ: شربَتْ أو كَرعَتْ بلا تنفُّسٍ.
السَّحنةُ: الهيئةُ واللّونُ.
المرأةُ العاقِرُ: الّتي لا تَلِدُ.

والحكمةِ، والجَمالِ، ويفوقُ بقُدرتِهِ جميعَ الملوكِ الّذينَ أَتَوْا قَبلَهُ. ويَفوقُكَ أنتَ أيضاً أيُّها الملكُ أنْمِرْكارُ. فنهرُ «الفُراتِ» الّذي رأيْتَ السّمكةَ تَعُبُّه هو شعبُ «أورْخويَ». سيُذِلُّ ابنُ نَنْسونَ هَذا الشّعبَ ويَقهرُه، ويَستبدُّ به استبداداً شنيعاً. وسيَبتلعُكَ أنتَ أيضاً. قَد لا أعيشُ إلى ذلكَ اليومِ. أمّا أنتَ، أيُّها المَلكُ أنْمِرْكارُ، فستَعيشُ، وتَرى، وتَتذكَّرُ قَولي.

وحدّقَ الملكُ طويلاً إلى وجهِ العرّافِ وقالَ:

ـ إنَّ كلامَكَ لَفظيعٌ أيُّها العرّافُ. ولكنْ قُلْ لي: بأيِّ عينٍ تَرى كلَّ هَذا؟

ـ بالعينِ الّتي تَرى ما وراءَ الأشياءِ. إنَّ معرفةَ الأشياءِ أيُّها المَلكُ إنَّما تَتِمُّ بمؤالفتِها، والاحتكاكِ بها على الدّوامِ. فبقدْرِ معايشةِ الحدّادِ أدواتِهِ وحِرفتَهُ يَزدادُ بها حِذقاً وخَلْقاً. وبقَدْرِ ما يَرْصُدُ رياضيّو «أورْخويَ» وفَلكيُّوها النّجومَ والكواكبَ، يَزدادونَ عِلماً بحركاتِها وسَكَناتِها. أمّا مَعرفتي أنا فبالتّأمّلِ ومعايشةِ الغيبيّاتِ. وهَكذا، كلّما انصبَّ اهتمامُنا على الأشياءِ

والمحسوساتِ أغفَلْنا ما وراءَ الأشياءِ، وكلَّما ازدادَ علمُنا بهذهِ زادَ جهلُنا بتِلكَ. وسوفَ يَزدادُ جهلُ الإنسانِ معَ الزّمنِ لصُدوفِهِ عَن منابعِ علْمِهِ الأصيلِ واهتمامِهِ بتَوافِهِ الأمورِ. وإنَّ ما خَطَّتْهُ يدُ الآلهةِ على لوحِ القَدَرِ لا بدَّ أَن يَكونَ.

صَدَفَ عَن كذا: مالَ عَنْهُ وأَعرَضَ.

نَسرٌ في السّماء

عَجِبَ سكّانُ «أورْحويَ»، في ذاكَ **الأصيلِ**، مِن نَسرٍ عظيم يُحَقّقُ في سماءِ مدينتِهِم ويُطيلُ التّحليقَ. والأعجبُ أنَّهُ كانَ يَغيبُ حيناً، ثُمّ يعودُ ليَحومَ تارةً فوقَ معبدِ الإلهِ أنْليلَ، الواقعِ شرقيَّ المدينةِ، وطوراً فوقَ قصرِ الملكِ أنمِرْكارَ، الجاثمِ قُبالتَهُ، متنقّلاً هكذا بينَهُما كأنَّهُ يريدُ أن يَحُطَّ على أحدِهِما.

وهَمَّ جنديٌّ مِن جنودِ المَلكِ أن يَرميَهُ بسهمٍ حينَ أسبلَ جناحَيهِ الأسودَينِ ورفرفَ على ارتفاعٍ قريبٍ من برجِ القصرِ، لَو لَم يُسارعِ الخادمُ شيتا فيُمسكْ بقَوسِهِ:

الأصيلُ: الوقتُ بينَ العصرِ والغروبِ.

ـ إيّاكَ أَنْ تفعلَ أيُّها الجنديُّ، لعلَّ هَذا النَّسرَ رسولُ بِشْرٍ!

ـ وإذا كانَ نذيرَ شَرٍّ أيُّها الحادِمُ الأخرقُ؟

ـ الآلهةُ وحدَها تَعرفُ هٰذا. مَن أنتَ لتتدخّلَ في شؤونِها؟

وهَكذا ظلَّ النَّسرُ العظيمُ في تحيقِهِ وتحويمِهِ، وأبصارُ سكّانِ المدينةِ عالقةٌ به، حتّى أعياهُم أمرُه فانصرَفوا عَنهُ إلى أشغالِهِم، ما عَدا حارسَ بوّابةِ «أورْخويَ».

كانَ هَدا الحارسُ قَد تعبَ مِن رفعِ رأسِهِ وهُو يَشْخَصُ ببَصرِهِ آناً إلى النَّسرِ، وآونةً أُخرى إلى الطَّبقةِ السّادسةِ لمعبَدِ أَنْيلَ الّتي كانَتْ صفحتُها الذّهبيّةُ ما تَزالُ تَبرقُ تحتَ نورِ الشّمسِ الآفلةِ. ولَمّا رأى آخِرَ شُعاعٍ بنفسجيٍّ يُبارحُها مؤذِناً بالغروبِ، اندفعَ نحوَ البوّابةِ الكُبرى يريدُ إغلاقَها. وفي هَذه الأثناءِ كانَ العرّافُ العجوزُ أوكاما يُهرولُ للدّخولِ. وكانَ يَركضُ خلفَهُ ويَنبحُ كلبٌ أسودُ كبيرٌ. فوَقفَ الحارسُ بجسمِهِ

الضّخمِ في وجهِ العرّافِ معترِضاً طريقَهُ:

- دَوماً أنتَ وحدَكَ تتأخَّرُ! في كلِّ مرّةٍ أُقسمُ بالإلٰهِ شَمَشَ أنّي تاركُكَ في العَراءِ طُعماً للكلابِ والذّئابِ، وفي كلِّ مرّةٍ...

- وفي كلِّ مرّةٍ، قاطَعَ العرّافُ، تَجبُنُ، لأنّكَ تخافُ أن أكُمَّ فمَكَ أو **أمسخَكَ** ضِفدِعاً.

- كُمّ أوّلاً شِدقَ هٰذا الكلبِ الّذي تَهربُ مِنهُ كالطّفلِ المذعورِ، أيُّها العرّافُ الخرّافُ!

ودنا العرّافُ مِنَ الحارسِ، وراحَ يُمشّي فيهِ أنظارَهُ مِن رأسِهِ إلى قدمَيهِ، وبادرَهُ:

- كَم تبلغُ مِنَ العمرِ يا هٰذا؟

فأجابَ الحارسُ مرتبكاً حينَ رأى المُزاحَ يَنقلبُ إلى ما يُشبِهُ الجِدَّ:

- خمسينَ سنةً. لماذا؟

- إذاً نصفُها طارَ!

- ماذا تقولُ؟

مسَخَهُ: حوّلَ هيئتَهُ إلى هيئةٍ أقبحَ مِنها.

ـ وإذا تأخّرْتَ لحظةً أُخرى طارَ النّصفُ الآخَرُ، لأنَّ المَلكَ في انتظاري.

وفَسَحَ له الحارسُ على عَجَلٍ مِن غيرِ أن يَتفوَّهَ بِكَلمةٍ.

كانَ المَلكُ أَنْمِرْكارُ في تلكَ السّاعةِ يُراقبُ بِدَورِهِ، مِن أعلى البرجِ، النَّسرَ العظيمَ المحلِّقَ في سماءِ المدينةِ، حينَ أَقبلَ خادمُه العجوزُ شينا يُخبرُه بوجودِ العرّافِ أوكاما في القصرِ. فهَبَطَ المَلكُ سلالمَ البرجِ بسرعةٍ وقد توقَّعَ شرّاً، لأنَّ النَّسرَ المحوِّمَ طويلاً فوقَ قصْرِهِ كانَ قد أقلقَهُ:

ـ مَولايَ! بادرَهُ العرّافُ منكِّسَ الرّأسِ. منذُ ثلاثةِ أيّامٍ وأنا أتردّدُ في المُثولِ بينَ يدَيكَ، حتّى أضناني السّرُّ الّذي أَحملُ في صَدري.

ـ تكلَّمْ ولا تَخَفْ!

ـ جئتُ مَولايَ لأحذِّرَكَ، وأذكِّرَكَ بِنُبوءتي السّابقةِ.

وغَمغَم المَلكُ أنْمِرْكارُ:

ـ أَما تَزالُ تَعتقدُ...؟

ـ أجلْ، مَولايَ، فالبنتُ العاقرُ، الّتي هيَ ابنتُكَ، وَلَدَتْ منذُ ثلاثةِ أيّامٍ ولدَها البِكرَ.

وزَمجرَ المَلكُ:

ـ هَذا لا يصدَّقُ! لا يُصدَّقُ!

ـ إنَّها الحقيقةُ. وما عليكَ إلّا أنْ تُرسِلَ أحدَ جنودِكَ ليأتِيَكَ بالخبرِ اليقينِ.

وظلَّ المَلكُ بعدَ خروجِ العرّافِ غارقاً في صَمتِهِ، ورأسُه بينَ يدَيهِ، لا يَدري ماذا يَفعلُ. ثُمَّ نهضَ فجأةً وقَدِ استحْوَذَ عليهِ غضبٌ مجنونٌ، فمَدَّ رأسَهُ مِنَ النّافذةِ الّتي تطلُّ على الحديقةِ، ونظرَ إلى السّماءِ وتَمتمَ:

ـ وحَقِّ الإلَهِ شَمَش، حتّى لَو صدقَتْ نُبوءَتُكَ أيُّها العرّافُ، لَن أَسمحَ لِابنِ بِنْتي أَنْ يَرى النّورَ يوماً رابعاً. سأُكذِّبُ النّبوءَةَ! سأوقِفُ حُكمَ القَدَرِ! سأَخنُقُ حَفيدي وقاتِني **العتيدَ** في المَهْدِ، لا بَل **سأُطوِّحُ بِهِ** حيّاً مِن أعلى

العتيدُ: المهيَّأُ، المُقبلُ.

طوّحَ بِهِ: ألقاهُ في الهواءِ.

البرجِ في هذهِ الأمسيّةِ، وأُبعثِرُ كلَّ شِلوٍ مِن أشلائِهِ في بقعةٍ مِن بِقاعِ مَملكتي الواسعةِ.

وفي تلكَ الأمسيّةِ بالذّاتِ كانَ أَنْمِرْكارُ مَلِكُ «أورْخويَ»، يَقذِفُ بحفيدِهِ وابنِ بِنتِهِ نَسُونَ مِن أَعلى البرجِ؛ ولكنَّ القدَرَ كانَ هناكَ يَنظرُ ويَنتظِرُ: ففي تلكَ اللّحظَةِ بالذّاتِ انقضَّ النّسرُ العظيمُ، المحلِّقُ فوقَ القصرِ، انقضاضَ الصّاعقةِ على الطّفلِ الهاوي في الأعماقِ، فتناوَلَهُ بمَخالبِهِ قبلَ أن يُلامِسَ الأرضَ، وحطَّهُ بِرفقٍ على العشبِ في زاويةِ القصرِ الجنوبيّةِ، وعلى مشهدٍ مِن شخصٍ واحدٍ هو الخادمُ شَيْنا.

وقبلَ بزوغِ الفجرِ، وبينَما جميعُ مَن في القصرِ يَغُطّونَ في نومِهِم، لفَّ شَيْنا الطّفلَ في رداءٍ خَشِنٍ، وخبّأَهُ تحتَ ثوبِهِ، وخرجَ بهِ إلى الحقولِ، إلى أخٍ له يَعملُ في مزرعةٍ نائيةٍ تَبعُدُ مسيرةَ يومٍ عَن «أورْخويَ».

الشِّلْوُ: العُضوُ مِنَ الأعضاءِ اللّحميّةِ.



وقالَ لأخيهِ وهُو يضعُ الطّفلَ بينَ يدَيهِ:

ـ هَذا طفلٌ خطيرٌ! وكلُّ مكروهٍ يُصيبُه يُصيبُكَ أَنتَ وعائلتَكَ. اعتنِ بهِ كأحدِ أبنائِكَ... لا تَسَلْني عَن أبوَيهِ لأنّي أنا أيضاً أجهلُهُما... إنَّهُ القدَرُ وَضعَهُ على بابي مساءَ أمسِ، بصورةِ نَسرٍ ضَخمٍ كانَ يَحمِلُه بينَ مخالِبه. من أينَ أتى بهِ؟ مِن أيِّ قصرٍ اختطفَهُ؟ لا تَسَلْني! رُبّما أخطأتُ لأنّي صارحتُكَ بالحقيقةِ. بأيِّ حالٍ، قُل لكلِّ مَن يسألُكَ عَنهُ إنّهُ ابنُكَ، وإنَّ زوجَتكَ ولدَتْهُ منذُ يومَينِ...

ـ ولكنَّ زوجي ولدَتِ السّابعَ منذُ أُسبوعٍ، فكَيفَ...؟!

ـ إذَنْ قُلْ: هو ابنٌ لبنتِكَ، أو لأُختٍ لكَ في إحدى القُرى، أَو لنسيبةٍ أو قريبةٍ... تَدبّرْ أمرَكَ! قُلْ كلَّ شيءٍ دونَما تردُّدٍ، ولكنْ حَذارِ أَن تُخبرَ أحداً بما أخبرتُكَ به الآنَ، لأنَّ الكلَّ يَعلمونَ بأنّني أعملُ في قصرِ المَلكِ أَنمِرْكارَ...

ـ وماذا تريدُ أَن أسمّيَ هَذا الطّفلَ؟

ـ سمِّهِ ما شِئتَ. سمِّهِ جِلْجامِش.

ونما جِلْجامِشُ وتَرعرعَ في البرّيّةِ كما الصَّفصافُ على مَجاري «الفُراتِ»: مَديدَ القامةِ، خارقَ القوّةِ، فائقَ الحِكمةِ، ورائعَ الجمالِ، يُمارسُ كلَّ يومٍ صيدَ الأسودِ والغزلانِ، ورشقَ السِّهامِ، وركوبَ الخيلِ.

وبلغَهُ ذاتَ أمسيّةٍ مِن أمسيّاتِ الرّبيعِ أنَّ أنْمِرْكارَ ملكَ «أورْخويَ» يَظْلُمُ شعبَهُ، فأقسمَ أن يَضعَ حدّاً **لجَورِهِ**. ويَمَّمَ **توّاً** شطرَ المدينةِ، ليُناقشَهُ في الحسابِ.

كانَ اللّيلُ قد تقادَمَ؛ وبينَما المَلِكُ يَدخلُ الهيكَلَ ليُمارسَ شعائرَ الزّواجِ الدّينيِّ معَ كاهنةٍ تقومُ بدورِ الآلهةِ، إذا بجِلْجامِشَ **يَنجُمُ** أمامَهُ بكاملِ مهابتِهِ ورجولتِهِ. وبعدَ صراعٍ قصيرٍ بينَهُما رفعَ جِلْجامِشُ المَلِكَ أنْمِرْكارَ في الهواءِ وقذفَ بهِ **مِن حالقٍ** إلى

الجَورُ: الظُّلمُ.
توّاً: مُباشَرةً، في الحال لا يُعيقُه شيءٌ.
يَنجُمُ: يَظهرُ ويطلُعُ.
من حالقٍ: مِن عُلوٍّ شاهقٍ.

السّاحةِ الّتي تَتقدَّمُ الهيكلَ. ولَمْ يَكنْ ثمّةَ نَسرٌ في السّماءِ ليُنقذَهُ، فتمَّ بذلكَ حُكمُ القدَرِ.

ولَمْ يَكنْ جِلْجامِشُ، بعدَ قتلِهِ المَلكَ، بحاجةٍ إلى شهادةٍ من أمِّهِ نِنْسون، أوِ الخادمِ شَيْنا الّذي التقطَهُ، حَتّى يَكشِفَ للنّاسِ نسبَهُ الأصيلَ، ويُثبِّتَ حقَّهُ بالعرشِ. لقَدْ كانَ له مِن قوّتِهِ، وحكمتِهِ، وجمالِهِ الّذي لا يُضارَعُ، ما يَكفي لِكَي يُعلنَهُ سكّانُ «أورْحويَ» مَلكاً عليهِم، وهُمُ الّذينَ يُمجّدونَ القوّةَ ويَعبُدونَ الجمالَ.

وحَكَمَ جِلْجامِشُ البلادَ السّومَريّةَ بقوّةٍ وعزمٍ وحكمةٍ. إلّا أنّه **ما عتّمَ أنِ** انقلبَ معَ الزّمنِ مِن مليكٍ فاضلٍ، عاقلٍ، حكيمٍ، إلى نَمِرٍ **فاسقٍ** شَرِسٍ كجَدِّهِ أنْمِرْكارَ، بَل فاقَ بشرِّهِ جميعَ الملوكِ الّذينَ جاؤوا قبلَهُ.

وكانَ سكّانُ «أورْخويَ» يَعتقدونَ اعتقاداً راسخاً أنَّ ثُلثَيهِ مِن إلهٍ وثُلثَهُ الآخرَ مِن بَشرٍ، وأنّهُ ابنُ الإلهِ

ما عتّمَ أن: ما أبطأَ أو تأخّرَ.

الفاسقُ: الفاجرُ، الخارجُ عن طريقِ الصّلاحِ.

لوكولْبَنْدا. ولِذا كانوا يَرهبونَهُ ويُحبّونَهُ في آنٍ معاً، يَسعدونَ به مليكاً يَحميهِم ويَحكمُهُم بقوّةٍ وحزمٍ، ويَتمنَّونَ في الوقتِ نفسِهِ لَو تُنقذُهُم الآلهةُ مِن ظُلمِهِ.

عروسا النّهر

ـ أَهوَنُ عليَّ يا بُنيَّ أَن أراكَ مَيتاً ليلةَ عُرسِكَ مِن أَن أَرى عروسَكَ تُذَلُّ فيها.

ووَقفَ ناهيرُ في وسَطِ الغرفةِ **يُحملِقُ** في أبيهِ، **فاغرَ** الفمِ، جاحظَ العينَينِ، وهُو لا يصدِّقُ ما يَسمعُ:

ـ عَروسي تُذَلُّ في ليلةِ عُرسِها؟ ولَكنْ مَن الّذي يَقوى على إذلالِها يا أبي، وأنتَ زاديقُ كاهنُ «أورْخويَ» الأكبرُ، وولدُكَ أَقوى فِتيانِها، وأمهرُهُم في الفروسيّةِ ورَمي السِّهامِ؟

و**آثرَ** الوالدُ أَن يَبقى على صمتِهِ، حَتّى يَهتدِيَ ولدُه،

يُحملقُ: يَفتحُ عينيه وينظُرُ شديداً.
فاغر: فاتح.
آثر: فضّل.

مِن تَلقاءِ نفسِهِ، إلى الحقيقةِ المُرّةِ. غيرَ أنَّ هَذا ظَلَّ يروحُ ويجيءُ في المكانِ، وهُو **يُزبِدُ** ويُزمجِرُ كأسدٍ ضُيِّقَ علَيهِ أُفقُه إذْ وُضعَ لأوّلِ مرّةٍ في قفصٍ. ثُمّ تَمتمَ:

ـ بَلى، شخصٌ واحدٌ يَقوى على هذا، وهُو...

ووافقَهُ والدُه بهزّةٍ مِن رأسِهِ، مِن غيرِ أن يرفعَ إلَيهِ الطَّرْفَ.

ـ جِلْجامِشُ!؟

لفظَها ناهيرُ بصوتٍ خافتٍ كالمتسائلِ بينَهُ وبينَ نفسِهِ.

ـ أَجلْ. جِلْجامِشُ!

ردَّ والدُه وهُو يَنهضُ مِن مَقعدِهِ ويَتّجهُ إلى النّافذةِ يَرقبُ مِنها «الفُراتَ» الّذي كانَتْ **تَجيشُ غَواربُه** وتُزبِدُ كأنّها تَهُمُّ **بتَسنُّمِ** الضِّفّتَينِ، لتَجتاحَ المدينةَ وتَغسِلَ

يُزبِدُ: يُخرِجُ الزّبدَ أيْ الرّغوةَ مِن فمِه كنايةٌ عن الكلامِ بغضبٍ.
تجيشُ: تهيجُ وتضطربُ.
الغواربُ: مفردُها الغاربُ وهُو أعلى كلِّ شيءٍ وهنا المقصودُ الأمواجُ العاليةُ.
التّسنُّمُ: الرُّكوبُ والاعتلاءُ.

العارَ اللّاحقَ بها.

وأَجفلَ ناهيرُ كما لَو كانَ الجوابُ يأتيهِ مِن بعيدٍ، كأنَّهُ لَم يَكنْ هو الّذي لفظَ اسمَ المَلكِ. وتَمتمَ:

ـ جِلْجامِشُ راعينا الحكيمُ الّذي زَوّدَهُ إلَهُ العاصفةِ أَدَدُ بالشّجاعةِ، وحَباهُ الإلَهُ شَمَشُ بالجَمالِ والقوّةِ الّتي لا تُضارَعُ؟ جِلْجامِشُ الّذي ثُلثاهُ مِن إلَهٍ؟

وعَقّبَ زاديقُ بصوتٍ مُجنجلٍ بثَّ فيه كلَّ غِلّهِ وغضبِهِ:

ـ وثُلثُه الآخَرُ مِن نارِ جَهنّمَ!

ـ أَجلْ. جِلْجامِشُ الّذي سَبى الرِّجالَ والنّساءَ، فلَمْ يَتْركْ ولداً لوالدِهِ، ولا فتاةً لحبيبِها.

وردّدَ ناهيرُ كالمصعوقِ:

ـ جِلْجامِشُ الحكيمُ العارفُ، راعي «أورْخويَ» وسورِها المنيعِ، يَعتدي على أبنائِها وبناتِها؟!

حَباهُ: أعطاهُ ومَنحَهُ ووهَبهُ.

الغِلُّ: الحقدُ.

سَبى: أسَرَ وأخذ رهينةً.

وتقدَّمَ الوالدُ من ولدِهِ السّاهمِ، ووَضعَ يدَهُ بِرفقٍ على كَتفِهِ، وهُو يَتأمَّلُ بحنانٍ مُحيّاهُ الوسيمَ الّذي يُشبهُ شبَهاً عجيباً وجهَ أمِّهِ نِهْرينَ، أجملِ نساءِ «أورْخويَ» في زمانِها، وقالَ:

ـ هَذي هي الحقيقةُ يا ولَدي، الحقيقةُ الّتي تجهَلُها، لأنَّ حواسَّكَ مأخوذةٌ ببهاءِ البراريِّ، والفروسيّةِ، والصّيدِ، ولُبَّكَ مفتونٌ باللّهوِ البريءِ خارجَ أسوارِ المدينةِ. لأنَّكَ لم تَبلغْ بعدُ السّنَّ الّتي يُستَبُ لُبُّ المرءِ فيها بشؤونِ الحُكمِ وشهوةِ السّلطانِ وحبِّ المجدِ. إنَّ ثقتَكَ بنفسِكَ، يا وَلَدي، واكتفاءَكَ بقوّتِكَ، وبسالتِكَ، وشبابِكَ الرّيّانِ، يَصرِفانِكَ عن كثيرٍ منَ الأمورِ الخطيرةِ الّتي تَجري حولَكَ مِن غيرِ أن تَفطَنَ لها، كالعاشقِ على شطِّ «الفُراتِ» لا يَسمعُ سوى نَجوى قيثارتِهِ، ولا يَرى سِوى صورةِ حبيبتِهِ، بينَما هديرُ النّهرِ يَملأُ سمْعَ السّماءِ وبصَرَها.

السّاهمُ: العابسُ.

ولَمْ يقوَ باهيرُ على سماعِ أكثرَ ممّا سمعَ. اندفعَ مِنَ البابِ كالسّهمِ المنطلقِ لا يَلوي على شيءٍ، وراحَ يَركضُ على شاطئِ النّهرِ المقابِلِ للقصرِ. ولمحَهُ والدُه في رِكضَتِهِ المجنونةِ، تتدافعُ خلفَهُ، مجنونةً مثلَهُ، خِصلاتُ شَعرِهِ الفاحمِ **كعُرفِ** مُهرٍ أضرَّ به **الجِمامُ**، حتّى غابَ عَن أنظارِهِ في المَدى البعيدِ. ومِنَ الجهةِ المقابِلةِ، على الشّاطئِ، كانَتْ تَركضُ لمُلاقاتِهِ خطيبتُه شيرينُ، رشيقةً، سريعةً، **ضامرةً**، يَخالُ مَن يَراها لأوّلِ وَهلةٍ أنّها غلامٌ مِن سنِّهِ أو تَوأمٌ له. ومثلَهُ كانَتْ ضفائرُ شَعرِها الفاحمةُ السَّبِطةُ تَتدافعُ خلفَها لسُرعتِها. والتحمَ العاشقانِ بعدَ ركضَتِهِما المجنونةِ في عناقٍ طويلٍ وضمّةٍ خرساءَ باهرةٍ. حتّى إذا استردّا الأنفاسَ، وعاودَتْ قلبَيْهِما دقّاتُهما الطّبيعيّةُ، تَبادلا النّظراتِ. ورأَتْ شيرينُ في عَينَيْ خطيبِها شروداً بعيداً وكآبةً، إلّا

العُرفُ: شعرُ رقبةِ الفرسِ، والمُهرُ صغيرُ الفرسِ.
الجِمامُ: ما اجتمعَ مِن ماءِ الفَرَسِ.
ضامرةً: هزيلةً قليلةَ اللّحمِ.

أنّها، في لحظةٍ مِن نَشوتِها، ظنَّتْ أنّهُ أقبلَ ليَزِفَّ إليها بُشرى قِرانِهِما الوشيكِ، وأنَّ الفرحةَ هي الّتي أخرسَتْ مِنهُ اللّسانَ. ولكنَّهُ لمّا سبقَها فجأةً بفكِّ ذراعَيهِ القويّتَينِ عَن قدِّها الرّشيقِ، توقّعَتْ شرّاً قريباً.

ـ أتُحبّينَني يا شيرينُ؟

وبحَدْسِ المحبوبِ الّذي قَلّما يُخطِئُ، رأتِ الشّرَّ الّذي توقّعَتْهُ يذُرُّ قرنَه خلفَ هذا السّؤالِ الّذي طالَما سَمعَتْهُ مِنهُ، وسَكرَتْ به، وأحبّتْ تَكرارَهُ مِن شفتَيهِ.

واستنجدَتْ شيرينُ بكلِّ ما تبقّى لدَيْها مِن قوّةٍ وإرادةٍ ورباطةِ جأشٍ، وأجابَتْهُ مِن غيرِ أن تُفارقَ بسمتُها الرّائعةُ زاويةَ شفتَيها:

ـ بعَددِ النّجومِ، وحبّاتِ الماءِ في «الفُراتِ»، وذَرّاتِ التّرابِ على مَدى شاطئَيهِ، أحبُّكَ يا حبيبي!

ـ حتّى إذا اقتَضى الأمرُ أن تَموتي حبّاً بي يا حبيبتي؟

الحَدْسُ: الإحساسُ المُسبَقُ.
ذرّ القرنُ: طلعَ أدنى شيءٍ مِنهُ.

ـ أحبُّكَ إلى ذلكَ الحدِّ يا ناهيرُ، وأكثرَ. ولَكنْ هَل لي يا حبيبي أَن أَعرفَ السّببَ؟

واحتَضنَ وجهَها الصّغيرَ المحبوبَ بينَ كفَّيهِ الضَّخمتَينِ، وتأمّلَها طويلاً:

ـ تُحبّينَني حَتّى الموتِ، ومِنْ غيرِ أَن تُحاوِلي معرفةَ السّببِ يا شيرينُ؟

وطفَحَتْ مُقلَتاها السّوداوانِ بلؤلؤِ الدّمعِ:

ـ أحبُّكَ ناهيرُ حَتّى الموتِ، ومِن غيرِ أَن أَعرفَ السّببَ يا حبيبي.

ـ إذنْ ضُمّيني إلى صدرِكِ يا حبيبتي، ودَعيني أُطبِقْ أَجْفاني علَيكِ، لأنَّ مياهَ النّهرِ العميقِ تُناديِنا بحنينٍ كبيرٍ إلى فِراشِها الوثيرِ.

وبقلبٍ واحدٍ، وحُبٍّ واحدٍ، ارتمى الاثنانِ، كُتلةً واحدةً، في مياهِ النّهرِ العَميقةِ، فغَيّبَتْهُما إلى الأَبَدِ.

وعلى الضّفّةِ المُقابِلةِ كانَ صيّادٌ عجوزٌ يَشهدُ أوّلَ عروسَينِ يُزفّانِ «للفُراتِ»!

وكانَ في «أورْخويَ» حزنٌ عظيمٌ على ناهيرَ

وشيرينَ لَم تَشهَدْ له المدينةُ مثيلاً مِن قَبلُ. سبعةَ أيّامٍ ظلَّتِ النّساءُ يَبكينَهُما ويَندُبْنَهُما بِترانيمِ «الشّيرو» **الشّجيّةِ**، ورقيقِ **المَراثي**. وعَجِبَ الجميعُ كيفَ يُقدِمُ على الانتحارِ فتىً وفتاةٌ وُهِبا الحبَّ والجمالَ، والمالَ والجاهَ، وكلَّ ما يَشتهيهِ إنسانٌ في الحياةِ. الكاهنُ الأكبرُ زاديقُ ظلَّ، وحدَهُ، محتفِظاً بالسّرِّ، حَتّى نهايةِ اليومِ السّابعِ لأحزانِ المدينةِ. ثُمَّ باحَ به لزَوجِهِ وهُوَ **يَشرقُ** بالدّمعِ، فعاتبَتْهُ باكيةً شاكيةً:

ـ ولَكِنْ كيفَ لَم تُحاوِلْ أَن تَردَّ حُكمَ القضاءِ عَنِ ولدِكَ الوحيدِ، وزينةِ فتيانِ «أورْخويَ»، بما لَديكَ مِن **دالّةٍ** عندَ جِلجامِشَ وسُلطانٍ؟

ـ لأنَّ سُلطانَ نَزَواتِهِ علَيهِ أَقوى وأَدهى أيّتُها الزّوجةُ الطّيّبةُ. تقولينَ كيفَ لَم أُحاوِلْ؟ بلى، حاولْتُ.

الشّجيّةُ: الحزينةُ.
المراثي: جمعُ المرثاة أو المرثيةِ وهي ما يُؤبّنُ بهِ الميتُ من شعرٍ أو غيره.
يشرقُ: يغصُّ.
الدّالّة: الإفراطُ في الاجتراءِ على إنسانٍ تثقُ به.

وفكّرْتُ في أن أهرعَ إليهِ، قبلَ أن **يُحَمّ القضاءُ**، وأُمرِّغَ رأسي بقدمَيهِ، وأُقبّلَ رُكبتَيهِ، كي لا يَخطَفَ مِن ولَدي عروسَهُ...

وزَعقَتْ نِهرينُ غاضبةً مقطّبةً:

ـ أنتَ زاديقُ، كاهنُ «أورخويَ» الأكبرُ، تُمرِّغُ الرّأسَ بقدَمَي جِلْجامِشَ؟ تَركعُ أمامَهُ؟

ـ وهذا ما جَعلَني **أُحجِمُ**، وأُؤْثِرُ حُكمَ القضاءِ وموتَ ولَدي، على الإهانةِ الكُبرى والذُّلِّ الفظيعِ.

ونَقلَتْ زوجةُ الكاهنِ الأكبرِ السّرَّ إلى صديقاتِها والخادماتِ، فالتقطَتْهُ آذانُ المدينةِ كلُّها.

حُمَّ القضاءُ: قُضِيَ وقُدِّرَ.

أُحجِمُ: أمتنِعُ.

ثورةٌ في «أورْخويَ»

وكانَ، بعدَ الحزنِ الكبيرِ على ناهيرَ وشيرينَ، سُخطٌ جماعيٌّ أكبرُ في «أورْخويَ»، بَل كانَ هُناكَ تذمّرٌ وتمرّدٌ وشِبهُ ثورةٍ ضدَّ السُّلطةِ **الغاشمةِ** الحاكمةِ بأمرِ الإلَهِ.

فتَشاورَ في أمرِ جِلْجامِشَ حكماءُ «أورْخويَ» السّبعةُ، وكهَنةُ الإلَهِ آنو كبيرِ الآلهةِ. وتَساءَلوا بعدَ جدالٍ ونقاشٍ طويلَينِ: هَل يُطيحونَ سلطانَ جِلْجامِشَ الجبّارِ العاتي، أَم يَتركونَ أمرَهُ للآلهةِ؟ وقالَ زاديقُ الكاهنُ الأكبرُ بعدَ فترةِ صمتٍ:

ـ إنَّ الشَّعبَ يَعشقُ في جِلْجامِشَ الجمالَ والقوّةَ

الغاشمةِ: الظّالمةِ.

والحكمةَ إلى حدِّ عبادتِهِ، ولَكنَّهُ يَكرهُ فيه الحورَ والظّلمَ والطُّغيانَ إلى حدِّ التّمرّدِ علَيهِ. وبما أنَّ ثُلثَيهِ مِن إلَهٍ كما تَعرفونَ، فليسَ لنا سِوى الآلهةِ لتُدبِّرَ أمرَهُ.

وعقّبَ الشّيخُ يَمّا رئيسُ الحكماءِ السّبعةِ:

ـ أمّا ثُلثُه البَشريُّ فنَتدبّرُه بحِكمتِنا نحنُ.

وكادَ الجميعُ **يُغربونَ في الضَّحِكِ** لَولا أنَّ المتحدِّثَ هو الشّيخُ الحكيمُ الّذي يَعرفونَ.

وبصوتٍ واحدٍ، وروحٍ واحدةٍ، رفعَ الكَهَنةُ والحكماءُ السّبعةُ هَذهِ الصّلاةَ للإلَهِ آنو رئيسِ الآلهةِ:

«أيُّها الإلَهُ آنو، يا ربَّ «أورْخويَ»،

يا مَن خَلقْتَ الوحشَ القويَّ الجبّارَ،

الّذي لا يُضاهي جمالَهُ جمالٌ

ولا يُضارعُ فتكَ سلاحِهِ سلاحٌ،

إنَّ جلْجامِشَ هَذا، يا ربُّ،

الّذي هو سورُ «أورْخويَ» وحاميها،

لا يَني يَضطهِدُ أبناءَها وبناتِها.

يُغربون في الضَّحِك: يبالغون.

ألا أيُّها الربُّ القديرُ،
مُرْ أورورو العظيمة
أَن تَخلُقَ غريماً لِجِلْجامِشَ
يُماثِلُه في القوّةِ والبأسِ،
ويُحاكيهِ في الرّوحِ والتّفكيرِ،
وقلباً عاصفاً مثلَ قلبِهِ أَعطِهِ يا ربُّ،
ليَشتبِكا في صراعٍ على الدّوامِ،
فتَهنأَ «أورْخويُ» بسلامٍ...».

وبعدَ أَن فَرَغوا مِنَ الصّلاةِ قالَ يَمّا، شيخُ الحكماءِ السّبعةِ وبحرُهُم العميقُ في المعارفِ:

ـ بما أَنَّ جِلْجامِشَ ثُلثاهُ مِن إلَهٍ وثُلثُه الباقي مِن إنسانٍ، ففي هَذا الجزءِ الأصغرِ يَكمنُ الشّرُّ الأكبرُ. أمّا كيفَ نتدبَّرُ هَذا الجزءَ الإنسانيَّ فيهِ، الّذي **يُوَرّثُ** عندَهُ الشُّرورَ إلى حدِّ الاعتِداءِ على رعيّتِهِ، فهَذا لَن يَكونَ حتماً بإطلاقِها وتحريرِها، بَل بتحريرِهِ هو مِنها.

يحاكيه يُشبهه، يُماثله.
يُورّثُ الشّيْءَ يجعلُه ميراثاً.

فالإنسانُ الجديدُ الّذي ستَخلُقُه أورورو ـ هَذا إذا لبَّتِ الآلهةُ طلبَنا ـ هو وحدَهُ قادرٌ على تحريرِ جِلجامِشَ مِن غرائزِهِ ونَزَواتِهِ، وحيويّتِهِ الحيوانيّةِ، ليسَ فقطْ بالتّلاحمِ معاً في صراعٍ مستميتٍ قَد يكونُ فيهِ هو الغالبَ أَوِ المغلوبَ، بل بتصادقِهِما.

فعندَما يَنقلبُ الخَصمُ العنيدُ إلى صديقٍ له حميمٍ، يَنصرفُ جِلْجامِشُ عَن حنونِهِ الشّرّيرِ إلى جنونٍ مِن جنسٍ آخَرَ كجنونِ الصّيدِ، والسّفرِ، والمغامراتِ، والفروسيّةِ، واللّهوِ البريءِ خارجَ أَسوارِ «أورْخويَ». وهَكذا تَرتاحُ «أورْخويَ» مِن شرِّ جِلْجامِشَ وتستفيدُ مِن خيرِهِ، لأنَّهُ، بأيِّ حالٍ، حامينا وسورُنا المنيعُ، وسوفَ يظلُّ أحكمَنا جميعاً. وأسفارُه في المستقبلِ ستَزيدُه حكمةً ولا ريبَ، لأنَّ الأسفارَ، كما تَعلمونَ، تَزيدُ الحكيمَ حكمةً.

أنكيدو

وبلغَتْ صلواتُ كَهنةِ «أورْحويَ» وحكمائِها السّبعةِ عرشَ الإلهِ آنو، فأوعزَ إلى الإلاهةِ أورورو أَن تَخلُقَ نِدّاً لجِلْجامِشَ ونظيراً له في القامةِ، والحكمةِ، والقوّةِ البدنيّةِ. وراحَتِ الإلاهةُ تُفكِّرُ في صنعِ هَذا الإنسانِ على صورةِ الإلَهِ آنو نفسِهِ ومثالِهِ، ويَتحلّى، فضلاً عَن هذا، بفضيلةِ إلَهِ الحربِ نينورْتا.

وفي يومٍ مِن أيّامِ الرّبيعِ، ونَيسانُ يَكسو ضفَّتَي النّهرِ العظيمِ بالسُّندسيِّ البَهيِّ، ووحوشُ الغابِ في صمتٍ وذهولٍ كأنّها تترقَّبُ المخلوقَ العجيبَ الّذي سيُبدِّدُ وَحشتَها ويَفهمُ لغتَها وتَفهمُه... في هذا اليومِ الفريدِ بينَ الأيّامِ، نَزَلَتْ أورورو مِن عَليائِها وغطّسَتْ ذراعَها

الفضّيّة عميقاً في مياهِ «الفُراتِ» والتقطَتْ حَفنةً مِن طين باردٍ نقيٍّ ورمَتْها في البرّيّةِ، فصارَتْ إنساناً سويّاً دعَتْهُ أنْكيدو، أي «صَنيعَ الإلهِ وشبيهَهُ».

وكانَ أنكيدو بهيَّ الطَّلعةِ، خارقَ القوّةِ، ونبيلاً جليلاً كأنبلِ ما يَكونُ إنسانٌ خُلقَ على صورةِ إلهِهِ ومثالِهِ: ماردَ الجسم خَشِنَهُ، يَتدلّى شعرُه الطّويلُ على كَتفَيهِ كضَفائرِ النّساءِ، ويَنوسُ ويَتموَّجُ كشَعرِ إلاهةِ القمحِ نيصّابا. وكانَ جسمُه مَكسوّاً أيضاً بالشَّعرِ كَسَموقانَ إلَهِ الماشيةِ. لا يَعرفُ شيئاً عَنِ العُمرانِ، ويَجهلُ حتّى الإنسانَ.

وكانَ أنْكيدو يَقتاتُ بالثِّمارِ وعُشبِ التّلالِ كالغزالِ البرّيِّ، ويَعيشُ معَ السّباعِ فيَنهلُ مِن مَشاربِها، ويُشاركُها في لُعَبِها الوَحشيّةِ؛ فتعلَّمَ هَكذا سائرَ حِيَلِها، ووَقفَ على ضُروبِ مطاعِمِها ومَشاربِها، وألَمَّ بلُغتِها واقتصاصِ آثارِها الخفيّةِ، وهذا ما جَعلَ حواسَّهُ تَزدادُ

ينوسُ: يَتدلّى.
الضّروبُ: الأنواعُ.
اقتصاصُ الآثارِ: اتّباعُها.

رهافةً: يَسمعُ كلَّ همسٍ، ويَتشَّقُ الرّوائحَ مِن بعيدٍ، ويَخرُقُ بصرُهُ **الحديدُ** عتمةَ اللّيلِ الحالكةَ. وعَرفَ أيضاً كيفَ يَتعهَّدُ الحيوانُ مواليدَهُ بالتّدريبِ والتّدبيرِ، وكيفَ يَتداوى إذا مرضَ، ويَدفنُ **جِيَفَهُ** حينَ يَموتُ، وكيفَ يَختبئُ ويَتّقي أعداءَهُ وعواملَ الطّبيعةِ في كلِّ الفصولِ. وألِفَ أنْكيدو بعضَ الحيواناتِ فاستأنسَ بها واتَّخذَها أصدقاءَ له وأعواناً، وتَحاشى عَن البعضِ الآخرِ وتَجَنَّبَهُ بسببٍ مِن شرِّهِ وشراستِهِ، وغدرِهِ وسمومِهِ الفتّاكةِ، **كالأَصلالِ** والأفاعي والعقاربِ والعناكبِ السّامّةِ وغيرِها. وحذَقَ الكثيرَ مِن فنونِ حيوانِ الغابِ ومهارتِها، كالهجومِ والدّفاعِ، والكَرِّ والفَرِّ، والتّصدّي والبطشِ، حتّى إنَّه فاقَ بعضَها حيلةً وخِفّةً ومرونةً؛ فبَرَعَ بالقفزِ والوَثبِ والرّكضِ، ومَهرَ بلفِّ الحِبالِ، ونصبِ الفِخاخِ، ورشقِ السّهامِ، وقذفِ

الحديدُ: الحادُّ.
الجِيَفُ: مفردُها الجيفةُ وهي الجُثّةُ المُنتنةُ.
الأصلالُ: مفردُها الصِّلُّ وهو الحيّةُ الخبيثةُ جدّاً.

الصّخورِ، والضّربِ بالعِصيِّ والجذوعِ والمِقْلاعِ. ثُمّ كانَ أنِ اهتَدى معَ الزّمنِ إلى النّباتاتِ الشّافيةِ للأمراضِ الدّاخليّةِ، فداوى الجروحَ والقروحَ النّاغلةَ برحيقِ الأزاهيرِ، وعصيرِ بعضِ الأعشابِ، وهذا ما جعلَهُ سيِّدَ الغابِ بِلا مُنازعٍ.

وبينَما أنْكيدو يُلاعِبُ في أحدِ أيّامِ الصّيفِ **القائظةِ** غزالاً برِّيّاً، ويُسابِقُه في ممرٍّ ظَليلٍ عبرَ الغابةِ، شاهدَهُ يَسقطُ في حفرةٍ، في بعضِ الطّريقِ، ويَغيبُ عَن نَظرِهِ، فاستشاطَ غضباً وَبربَرَ بصوتٍ أجفلَ حيوانَ الغابِ وأرعبَهُ. وبعدَ أن أنقذَ الغزالَ السّاقطَ راحَ يَقتلِعُ صخوراً لا يَقوى عَشَراتُ الرّجالِ على زَحزحتِها، ويَرميها في تلكَ الحفرةِ ويُتبِعُها بأشجارٍ يَقتلِعُها مِن جذورِها.

وكانَ الصّيّادُ المعروفُ ياشيرُ يَرقُبُهُ مِن مَخبئِهِ خلفَ **الدَّغَلِ**، وقَد أَخَذَ مِنهُ الرُّعبُ والعَجَبُ كلَّ مَأخذٍ. ثلاثَ مرّاتٍ على التّوالي رآهُ يُطارِدُ الغزالَ بسرعةِ

القائظة: الحارّة.
الدّغل: الشّجرُ الكثيرُ الملتفُّ.



الغِزلانِ، ويَقتاتُ بالنّبتِ كالحيوانِ، ويَقطعُ الشّباكَ الّتي نصبَها لطرائدِهِ كأنّها القُطنُ المَندوفُ. ورآهُ أيضاً يَقتلعُ الصّخورَ والأشجارَ مِنَ الجذورِ ليَطمُرَ بها الحُفرَ الّتي أعدَّها الصّيّادُ لصَيدِهِ. وهالَهُ ما أَبصرَ، وطارَ يَسبِقُ الرّيحَ ليُخبرَ أباهُ؛ **فأُرتِجَ علَيهِ** حينَ وقفَ حِيالَهُ صامتاً وشباكُه المقطَّعةُ تَرجُفُ بينَ يدَيهِ. فصاحَ به أبوهُ:

ـ وَيحَكَ! ماذا دَهاكَ؟ ولِمَ امتُقِعَ لونُكَ وشُلَّت مِنكَ الأطرافُ واللّسانُ؟ هَل لسعَتْكَ أفعى، أَم تعقّبَكَ أسدٌ؟ هَيّا، تَكلَّمْ!

وبكلامٍ مُترجرجٍ، مُتقطِّعٍ، راحَ ياشيرُ يَروي لأبيهِ القصّةَ:

ـ أَبي، رأيتُ في الغابةِ رجلاً لا كسائرِ الرّجالِ: بطولِ جِلْجامِشَ، ومَهابتِهِ، وقُدرتِهِ. ثلاثةَ أيّامٍ على التّوالي رأيتُه، وفي كلِّ مرّةٍ يأتي مِنَ التّلالِ مارّاً بحَقلِكَ، ليَرِدَ الماءَ ويُمارسَ هوايتَهُ معَ الحيواناتِ...

هالَهُ: أفزعَهُ وعظُمَ عليهِ.
أُرتِجَ علَيهِ. استغلَقَ علَيهِ الكلامُ.

ـ يُمارسُ هوايتَهُ معَ الحيواناتِ؟ أيُّ نوعٍ مِنَ النّاسِ هَذا؟ وما هوايتُه؟

ـ إنَّهُ يُلاعبُ الغِزلانَ يا أبي، ويُسابقُها، ويَسبِقُها...

ـ إنسانٌ بقدمَينِ ويَسبقُ الغزالَ؟

ـ وحَقِّ الإلَهِ شَمَّشَ يا أَبي، إنَّهُ أقوى رِجالِ الدُّنيا. لكأنَّهُ أَحدُ الخالِدينَ هَبطَ مِنَ السّماءِ. ألا إنَّهُ يَجوبُ التِّلالَ معَ السّباعِ، ويأكلُ الأعشابَ...

ـ يأكلُ الأعشابَ؟ إنسانٌ يأكلُ الأعشابَ؟

ـ بأُمِّ عَينيَّ هاتَينِ رأيتُه يَقضِمُ حُزمةً مِنَ العُشبِ. لا تَظُنَّني مَجبولاً يا أَبي. إنّي أَخافُ الذّهابَ إلى هناكَ مرّةً أُخرى، إذْ لَن أَجروءَ على الاقترابِ منهُ. لقَدْ طَمرَ بالصّخورِ وجذوعِ الشّجرِ الخندقَ الّذي حفرْتُه. ثُمَّ انظُرْ بعينِكَ! لقَدْ قطعَ شِباكي كما لو كانَتْ مِن خيوطِ العَنكبوتِ! إنَّ هَذا الإنسانَ الوحشيَّ صديقٌ لِلحيوانِ الّذي أصطادُ، فهُو يُعاونُه على الإفلاتِ مِن يَدي.

حُلمُ جِلجامِشَ

كانَ اللّيلُ قد تقادَمَ، وتكبّدَ قمرٌ منيرٌ قُبّةَ السّماءِ، تكادُ أطرافُه المُخمليّةُ تُلامسُ الطّبَقةَ السّادسةَ لمَعبدِ آنو، كأنّما ليَرعاهُ ويُباركَهُ بنورِهِ الدّافئِ. وكانَ قصرُ جِلجامِشَ، الّذي **يَتحلّقُه** باسِقُ النّخلِ، وتُطلُّ مِنهُ الشّرفاتُ على «الفُراتِ»، يَتلقّى فَيضاً مِن نورِهِ، يُواكبُه خريرُ النّهرِ الخالدِ. وكَم كانَ يَطيبُ لجِلْجامِشَ أن يَنامَ على ذيّاكَ الخريرِ الشّبيهِ بمُناغاةِ الأمّهاتِ لأطفالِهِنَّ قبلَ النّومِ.

في تلكَ اللّيلةِ رأى جِلْجامِشُ حُلماً **أقضَّ مضجَعَهُ**

تكبّدَ المكانَ: صارَ في وسَطِه.

تحلّقَ المكانَ: أحاطَ بهِ كالحَلْقَةِ.

أقضَّ مضجَعَهُ: جعلَ مكانَ نومِهِ وراحتِهِ خشِناً، كناية عن أنّهُ أقلَقهُ.

وأطارَ قلبَهُ خوفاً. وفي باكِرِ الصّباحِ استَدعى أمَّهُ الإلاهةَ نَنْسونَ العارفةَ بكلِّ شيءٍ - وكثيراً ما لجأَ إليها واستشارَها في مهامِّ المُلكِ وغيرِها مِنَ الأُمورِ الّتي تَستعصي عَيَهِ، على رُغمِ حكمتِهِ الفائقةِ وتَبحُّرِهِ في سائرِ المعارفِ - وأخذَ يَقصُّ عليها حُلمَهُ:

- رأيتُني يا أُمّي ليلةَ البارحةِ - بعدَ مُنتصَفِ اللّيلِ بقليلٍ، ونورُ القمرِ يَملأُ غرفتي بشكلٍ عجيبٍ - رأيتُني وسَطَ حَلْقةٍ مِن رجالي الأبطالِ، وأنا في غايةِ البَهجةِ والحُبورِ... وكنّا نسيرُ خِلَلَ اللّيلِ تحتَ فَلكٍ مرصّعٍ بالنّجومِ، حينَ سقطَ مِنَ السّماءِ **نيزكٌ** كأنّهُ الإلهُ آنو. سقطَ أمامي، وعبَثاً حاولْتُ زَحزحتَهُ، لثِقلِهِ الهائلِ. وعندَئذٍ أقبلَ سكّانُ «أورْخويَ» جميعُهم ليَرَوْهُ؛ فازدحَمَ حولَهُ **الرّعاعُ**، وتَدافعَ الأشرافُ والنُّبلاءُ جماعاتٍ جماعاتٍ، ليُقبّلوا أطرافَهُ. ورأيتُني يا أُمّي

تبحّرَ في الأمرِ: تعمّقَ فيه وتوسّعَ.
الحُبورُ: الفرحُ والسّرورُ.
النّيزَكُ: النّجمُ المتساقِطُ مِنَ السّماءِ.
الرّعاعُ: سَفَلةُ النّاسِ.

مجذوباً إلى ذاكَ النَّيزكِ. وهَبّوا جميعاً لمساعَدَتي، فجذَبْتُه نَحوي وحملْتُه إلَيكِ. فقُمتِ أنتِ، وأعلَنْتِهِ بنفسِكِ أخاً لي.

وقالَتْ أمُّه نِنسونُ، الّتي وُهبَتْ حكمةً عظيمةً:

- إنَّ ما رأيتَهُ يا وَلَدي هو هَذا: فنجمُ السّماءِ الّذي انحنَيْتَ علَيهِ هو صديقٌ لكَ قويٌّ، صديقٌ يُعينُ الصّديقَ عندَ الضّيقِ. وإنَّهُ لأقوى المخلوقاتِ المتوحِّشةِ طُرّاً... وليدُ المَراعي الخضراءِ، وربيبُ الجُرودِ والمرتفَعاتِ الموحِشةِ... وعندَما تُقابِلُه ستَسعدُ بلُقياهُ، لأنَّ قوَّتَهُ تُضارعُ قوّةَ أحدِ الخالدينَ. هَذا هو تَفسيرُ حُلمِكَ يا وَلَدي.

فقالَ جِلْجامِشُ لوالدتِهِ فَرِحاً:

- إنّهُ الحظُّ وافاني!

وأحسَّ جِلجامِشُ في صباحِ ذاكَ اليومِ برغبةٍ ملحّةٍ تَدفعُه إلى حديقتِهِ للقيامِ بنُزهةٍ فيها. وللمرّةِ الأولى لَم

طُرّاً: جميعاً.

يَشعرُ بحاجةٍ إلى تناولِ فَطورِه. كانَ فَرِحاً على غيرِ عادتِه، وقَدِ استهوَتْهُ الخُضرةُ حولَهُ والأزاهيرُ كما لَم تَستَهْوِهِ مِن قبلُ، لا بَل كأنَّها لَم توجَدْ مِن قبلُ على الإطلاقِ. وأحسَّ بحركةٍ خفيفةٍ، فاستدارَ، فإذا أحدُ حُرّاسِهِ يأتي إلَيهِ فيُخبرُه بأنَّ الصَّيّادَ ياشيرَ ووالدَهُ العَجوزَ واقفانِ ببابِ القصرِ يُريدانِ أَن يُسِرّا إلَيهِ بأمرٍ في غايةِ الخطورةِ، بأمرٍ لا يُمكنُهما تأجيلُه بحالٍ مِن الأحوالِ.

وفي فَيءِ شجرةِ نخلٍ وارفةِ الظِّلِّ، راحَ الصّيّادُ ياشيرُ ووالدُه يَرويانِ، راكعَينِ، الخبرَ الّذي لا يُمكنُهما تأجيلُه بحالٍ مِنَ الأحوالِ، بينَما جِلْجامِشُ مستنِدٌ إلى جِذعِها يَستمعُ إلَيهِما باهتمامٍ بالغٍ.

وقاطعَ أحدُهما الآخَرَ غيرَ مرّةٍ لِيَفوزَ بشرفِ السَّبْقِ في روايةِ الخبرِ المُثيرِ، حَتّى قالَ الوالدُ أخيراً:

ـ رأيتُ البارحةَ أيُّها المَلكُ العظيمُ... أَو بالأَحرى رأَيْنا نحنُ الاثنَينِ، أنا ووَلَدي ياشيرَ... لا، بَل عفوَكَ

أيُّها المَلكُ، لقَدْ رأى وَلَدي ياشيرُ...

فقاطعَهُ جِلْجامِشُ:

ـ إذَنْ دَعْ ياشيرَ يَتكلَّمْ أيُّها العجوزُ **الأَخرقُ!**

وبعدَ المقابَلةِ ظلَّ كلامُ الصيّادَينِ **يَضِجُّ** في سَمْعِهِ:

ـ رَجلٌ، أيُّها المَلكُ، ولَكنْ أيُّ رَجلٍ!

ـ بطولِ هَذهِ النّخلةِ وأَطْوَلُ.

ـ يَأكلُ العُشبَ كالحيوانِ.

ـ ويَسبِقُ حَتّى الغزلانَ.

ـ يَقلعُ الأشجارَ مِنَ الجُذورِ.

ـ ويَخنُقُ الأسدَ كالعُصفورِ.

ولَمْ يَنَمْ جِلْجامِشُ تلكَ اللّيلةَ، ولا في الّتي بعدَها. وظلَّ يتساءلُ: أيُمكنُ لِلآلهةِ أن تَخلُقَ إنساناً شبيهاً به بالحكمةِ والقوّةِ، يُزاحمُه في المُلكِ؟

ألَيسَ هَذا حقَّهُ وحدَهُ، ووقفاً علَيهِ دونَ سائرِ النّاسِ؟!

الأخرقُ: الأحمقُ، الّذي لا يُحسنُ عملَهُ.

يضجُّ: يتردّدُ قويّاً.

وحَتّى قولُ أمِّهِ نَنْسونَ إنَّ هَذا المخلوقَ الجبّارَ سيَكونُ عَوناً له وصديقاً، لَم يُرِحْهُ ولَمْ يُطمئِنْ بالَهُ. وفكّرَ أوّلَ الأمرِ باستدعاءِ جميعِ حُكمائِهِ، والكَهنةِ، والعرّافينَ، ليَستشيرَهُم في أمرِهِ. بَيدَ أنَّهُ طردَ الفكرةَ، وذهبَ بنفسِهِ إلى أمِّهِ يَنقلُ إلَيها الخبرَ كما سمعَهُ مِنَ الصّيّادَينِ. فقالَتْ لَهُ **هاشّةً** مغتبطةً:

ـ لقَدْ تحقَّقَ حُلمُكَ يا وَلَدي، وصَحَّ تَفسيري له. أَبْشِرْ، فهَذا هو الصّديقُ **العتيدُ** الّذي توقّعْتُه لكَ!

ـ ولكنَّكِ توقَّعْتِ لي إنساناً حيواناً، وهُو أقوى منّي بكثيرٍ!

ـ لَنْ يَكونَ هَكذا. سنَجعلُه إنساناً.

ـ ولَكنْ كيفَ السّبيلُ إلى هَذا يا أُمّي، وهَذا الإنسانُ المتوحِّشُ يَسبِقُ الغِزلانَ، ويَأكلُ العُشبَ، ويَقتلعُ الأشجارَ مِنَ الجُذورِ؟...

هاشّةً: متبسمةً، مرتاحةً.
العتيدُ: المهيّأُ، المُقبلُ.

ـ لا عَليكَ يا وَلَدي. أَرسِلْ أوّلاً في طلبِ الصّيّادَينِ اللّذَينِ رأياهُ وأخبراكَ عَنهُ، وأنا ذاهبةٌ لإحضارِ تامارَ.

ـ تامارَ؟ وما دَخلُ هَذهِ المرأةِ في الأمرِ؟

ـ لتُروِّضَ حيَوانَكَ الجميلَ. حكمةُ النّساءِ دَعْها للنّساءِ يا وَلَدي.

وبعدَ ثلاثةِ أيّامٍ كانَ يَمثُلُ بينَ يدَيْ جِلْجامِشَ الصّيّادُ ياشيرُ، وامرأةٌ في غايةِ الجمالِ هي الرّاقصةُ تامارُ. وكانَتْ تامارُ تُضارِعُ الرّبّةَ عِشْتارَ حُسناً ورشاقةً وحلاوةَ حديثٍ، ومِثلَها كانَتْ خبيرةً بفُنونِ الحُبِّ.

وقالَ جِلْجامِشُ يُوجّهُ الكلامَ لِلاثنَينِ، وهُو يُحدّقُ دَوماً إلى وَجهِ تامارَ:

ـ ستَنْطلقانِ الآنَ معاً إلى «غابةِ **الوُعولِ**»، إلى حيثُ يَمرُّ «الفُراتُ» في جرَيانِهِ مِن جهةِ الشّرقِ. إنَّها تَبعُدُ عَن «أورخويَ» مسيرةَ ثلاثةِ أيّامٍ. ياشيرُ يَعرفُ المكانَ جيّداً. ستَختبِئانِ خلفَ الدَّغلِ، حَتّى إذا قَدِمَ

الوُعولُ مفردُها الوَعلُ وهو تيسُ الجبلِ، له قرنانِ طويلانِ مسحوبانِ كالسّيفِ.

الإنسانُ الوحشُ **لِيَرِدَ الماءَ** على عادتِهِ، اسبَقيهِ أنتِ إلَيهِ يا تامارُ... فما إنْ تَقعَ عَينُه على **مَفاتِنِكِ** حَتّى يَقعَ في حبِّكِ و**حبائِلِكِ**.

وَرَدَ الماءَ: قصدَهُ ليشربَ.
المفاتِنُ: مواطِنُ الجَمالِ الّتي تثيرُ الإعجابَ.
الحبائلُ: مفردُها الحِبالةُ أي المِصْيدةُ مِنَ الحبالِ.

تامارُ وأنْكيدو

كانَ الفجرُ قد آذنَ بالبُزوغِ، وبدأ حيوانُ الغابِ يَنفضُ عَنهُ النّومَ، ويَتحرّكُ، ويَسعى مِن مخابئِهِ لِيَنشُدَ قوتَ يومِهِ، شأنُه في هَذا شأنُ الإنسانِ. وراحَ ياشيرُ وتامارُ يَتأمّلانِ مِن مَخبئِهِما هَذا المشهدَ العجيبَ، مشهدَ الطّبيعةِ في يَقظتِها. وكانَتْ تامارُ مأخوذةً به، وقلبُها يَقرعُ صدرَها رهبةً ورغبةً: فهِي للمرّةِ الأولى تَشهدُ هَذهِ الطّبيعةَ السّاحرةَ؛ لَقَدِ اعتادَتْ هَذهِ الرّاقصةُ أَن تَعيشَ في ظُلمةِ الهياكلِ الباردةِ. أمّا الحُبُّ، أمّا السّحرُ، أمّا الانتشاءُ الأكبرُ، فتُغدِقُ في الطّبيعةِ، هُنا،

يَنشدُ: يَطلبُ.
أغدقَ: كثُرَ وغزُرَ واتّسعَ

بسخاءٍ ما بعدَهُ سخاءٌ، في مِهرجانِ الأنوارِ والظّلالِ، والمياهِ والخُضرةِ، وعطرِ النّباتِ، وموسيقى الغابِ الّتي لَم تَعزِفْ مثلَها ناياتُ «أورْخويَ» وقيثاراتُها الفضّيّةُ.

وصاحَ ياشيرُ:

ـ تامارُ، لقَدْ أقبَلَ وحشُكِ الجميلُ!

غيرَ أنَّ تامارَ كانَتْ ما تَزالُ مسحورةً بنشوَتِها الحسّيّةِ، سَكرى بأريجِ الحشائشِ والأزاهيرِ، لا تَسمعُ سِوى نشيدِ الغابِ المظفَّرِ. وحينَ صدمَ سمعَها ثانيةً قولُ ياشيرَ انتفضَتْ كالمُستفيقةِ مِن حُلمٍ جميلٍ. وكانَتِ الغابةُ حولَها ترينُ علَيها سكينةُ المعابدِ. ولِلمرّةِ الأولى شعرَتْ بالخجلِ مِنَ التّعرُّضِ لأحدِ الرّجالِ، وهِيَ الّتي أحبَّتْ مِنْهُمُ الكثيرينَ في «أورْخويَ». لقَدِ انتابَتْها فجأةً، ومِن غيرِ أن تَرى الحبيبَ القادمَ، أحاسيسُ العَروسةِ حينَ تُزفُّ لعَروسِها في هيكلِ

ترينُ: تعلِكُ وتُسيطِرُ.

الحبِّ الطّاهرِ.

وعادَ الصّيّادُ يُلحُّ:

ـ أسرعي تامارُ، حبيبُكِ أقبلَ منَ التّلالِ البعيدةِ! لا تَخجلي.

ورأَتْ تامارُ أَنْكيدو **يَدْلِفُ** نَحوَ المكانِ، في موكبٍ مَهيبٍ مِن حيواناتِ الغابِ، وهُو يَتأَلّقُ كنَجمٍ في كاملِ قوّتِهِ ورجولتِهِ.

وانتشَتْ بسحرِهِ. ورأَتْ نفسَها، ودونَما إرادتِها، تَنطلقُ أمامَهُ، لتَضمَّ حيَواناً أليفاً إلى قطيعِ الحيوانِ الّذي **يَصطَحِبُ**.

ورآها أَنْكيدو، ووقفَ يَتأمَّلُها بذُهولٍ **وهُيام**، ومعَهُ وقفَ رفقاؤهُ الظِّباءُ والوعولُ والنّمورُ والأُسودُ. لَم يرَ في حياتِهِ بينَ وحوشِ الغابِ مثلَ هَذا الحيَوانِ الغريبِ الرّائعِ الجَمالِ. لكأنَّهُ **نَجَمَ** له، هَكذا، بَغتةً، مِن زهرِ

يَدلِفُ: يَتمشّى ويَدنو.
اصطحب الجماعةُ منَ النّاسِ أو الحيوانِ: ترافقوا، صَحِبَ بعضُهم بعضاً.
الهُيامُ: شدّةُ العِشقِ، الجنونُ منَ العِشقِ.
نجم: ظَهرَ وطلعَ.

الأُقحُوانِ، أَوِ انبثقَ مِن شجرِ الحَورِ **الرَّيَّانِ** على مَجاري المياهِ، أَو مِن حقلِ الزّنبقِ، لأنَّ في هَذا المخلوقِ الجميلِ مِنَ الرّشاقةِ، وامتشاقِ القدِّ، وبياضِ البَشَرةِ، والبهاءِ والنّقاءِ، ما لهذِهِ جميعاً، وأَكثرَ!

وأحبَّتْ تامارُ أَنْكيدو، وأحبَّ أَنْكيدو تامارَ. ولَبِثا معاً في الغابةِ مدَّةً مِنَ الزّمنِ لا هي بالطّويلةِ الطّويلةِ، ولا بالقصيرةِ القصيرةِ، ظَلّا يَتبادلانِ حلالَها الحُبَّ، ويَتبادلانِ الكلامَ الرّقيقَ الّذي علّمَتْهُ إيّاهُ مِن جُملةِ ما علّمَتْهُ مِن آدابِ النّاسِ وسلوكِهِم وعوائِدِهِم.

وهَكذا نسيَ أَنْكيدو مَسكنَهُ في الجُرودِ، وسلا رفقاءَهُ الحيَواناتِ، و**زايَلَهُ** بعضُ قوّتِهِ البدنيّةِ. فحين هَمَّ ذاتَ صباحٍ بمسابقةِ غزالٍ صغيرٍ، على جاري عادتِهِ، وَجدَ أنَّ قوّتَهُ تَخونُه، وركبتَيهِ تخذُلانِهِ، وأنَّهُ فَقدَ رشاقَتَهُ. لا بَل أَحسَّ كأنَّ جسمَهُ مقيَّدٌ بالحبالِ. والّذي

الرَّيّانُ: الأخضرُ النّاعمُ مِن الأغصانِ والأوراقِ.
زايلَهُ: فارقَهُ.

أحزنَهُ بخاصّةٍ هو أنَّ الحيواناتِ بدأَتْ تنفرُ منهُ **وتُوَلّي الأدبارَ مُجفِلةً** كُلّما لَقِيَتْهُ. إلّا أنَّهُ شعرَ بأنَّ قوّةً أُخرى حلَّتْ محلَّ قوّتِهِ البدنيّةِ: لقَدْ شعرَ بأنَّهُ ازدادَ حكمةً وفطنةً، وبأنَّ قلبَهُ **عَمَرَ** بأفكارِ الرّجالِ. وإذا به يَعودُ مِن ركضِهِ خلفَ الغزالِ الشّاردِ، فيَقعُدُ بجِوارِ تامارَ، عندَ قدمَيْها، ويُصغي إلى أقوالِها بحُبٍّ واهتمامٍ. قالَتْ له:

- لقَدْ أصبحْتَ إنساناً حكيماً يا أنْكيدو، صِرتَ شبيهاً بالآلهةِ، فعَلامَ ترغَبُ في مجاراةِ الحيوانِ ومطاردةِ الغِزلانِ فوقَ التّلالِ؟ تعالَ معي يا حَبيبي. سآخذُكَ إلى مدينةِ «أورْخويَ» المحصَّنةِ الأسوارِ، وإلى مَعبدِها المقدَّسِ، معبدِ عِشْتارَ وآنو إلَهَي الحُبِّ والسّماءِ.

- ولماذا تُريدينَ أخذي إلى هُناكَ أيّتُها المحبوبةُ تامارُ؟

تُولّي الأدبار: تُديرُ أقفاءَها أو مؤخّراتِها صوبَ مَن يراها، كنايةٌ عن أنّها تهربُ.

مُجفلةً: نافرةً وشاردةً.

عَمَرَ: امتلأَ.

ـ لأنَّ هناكَ جِلْجامِشَ الفائقَ الجَمالِ، والخارقَ القوّةِ، الّذي يَبسُطُ سلطانَهُ مثلَ ثورٍ وحشيٍّ فوقَ النّاسِ جميعاً.

وشعرَ أنْكيدو بالإهانةِ. جَرحَتْ رجولةُ جِلْجامِشَ الفائقةُ كرامتَهُ، إلّا أنَّهُ عادَ فأحسَّ بحاجَتِهِ إلى صديقٍ مثلِهِ يُجاريهِ في القوّةِ ويَفهمُ قلبَهُ، إلى إنسانٍ يَأنسُ إليهِ بعدَ أنْ فَقَدَ صداقتَهُ لِلحَيوانِ، فيُبادلُه الرّأيَ ويُشاركُه في الحوارِ. وبحماسةٍ شديدةٍ قالَ لِتامارَ:

ـ هَلُمّي أيّتُها المرأةُ وخُذيني إلى ذاكَ المَعبدِ المقدَّسِ، إلى بيتِ آنو وعِشْتارَ. طيري بي إلى جِلْجامِشَ الّذي قُلتِ إنَّهُ أقوى النّاسِ جميعاً.

ـ ولماذا تُريدُ أنْ آخذَكَ إليهِ بهذهِ السّرعةِ؟ ألِتُنازِلَهُ على طريقتِكَ الوحشيّةِ القديمةِ؟ ألَمْ تَتروَّضْ بعدُ يا أنْكيدو، يا حيَوانيَ الجميلَ؟

وأَغربَتْ تامارُ **في الضَّحِكِ**. وظنَّ أنْكيدو أنّها تَسخرُ مِنهُ فزَمجرَ:

أغربَ في الضَّحِكِ: بالَغَ.

ـ أَجَلْ، سأَتحدّاهُ وأُنازلُه! سأصرُخُ عالياً في «أورْخويَ» لكَي يَسمعَني الحميعُ: «أنا الّذي وُلدَ في الجُرودِ، أنا هو الأقوى».

ـ إذنْ تعالَ معي لآخذَكَ إلَيهِ. أَعرفُ قصرَهُ جيّداً. قصرُه سيَسحرُكَ بارتفاعِهِ، والنّاسُ هناكَ، أيضاً. النّاسُ في «أورْخويَ» يا أَنْكيدو، يَلبَسونَ أَفخرَ الثّيابِ، ويَتخطّرونَ بأَبهى الحُللِ. وكلَّ يومٍ عندَهُم مقدَّسٌ، وكلَّ يومٍ عيدٌ.

ـ وهَل عندَهُم فتيانٌ أقوياءُ، وفتَياتٌ حميلاتٌ مثلُكِ يا تامارُ؟

ـ ستُدهِشُكَ رؤيةُ فِتيانِهِم وفتَياتِهِم. إنَّهم رائعو الحُسنِ.

وحينَ رأَتْ تامارُ أنَّ أَنْكيدو يَطيرُ فرَحاً لأَقوالِها، أَردَفَتْ:

ـ إيهِ أَنْكيدو، أنا أَعرفُ أنَّكَ تُحبُّ الحياةَ بكلِّ جوارحِكَ. كيفَ لا وأنتَ ربيبُ الغاباتِ، وقَدْ تَكحّلَتْ عَيناكَ، أوّلَ ما تَكحّلَتا، بنورِ الفحرِ وزُرقةِ

السّماءِ وخُضرةِ البَراريِّ، وتَشنَّفَتْ مسامعُكَ، أوّلَ ما تَشنّفَتْ، بشيدِ العابِ وخريرِ السّواقي؟ أنا أعرفُ أنّكَ ستُسَرُّ بِجِلْجامِشَ، لا بَل ستَعْشَقُه، لأنّهُ هو أيضاً، مثلَكَ، رجلٌ قويٌّ، ويُحبُّ الحياةَ.

وضحكَتِ الرّاقصةُ ثانيةً لتُثيرَ حفيظتَهُ، وقالَتْ بتَخابُثٍ:

ـ إلّا أنَّ جِلْجامِشَ أقوى مِنكَ بكثيرٍ يا أنْكيدو، فحَذارِ أن تَتبجّح أمامَهُ، لأنَّ الآلهةَ آنو، وأنْليلَ، وأيّا، قد حَبَتْهُ بحكمةٍ فائقةٍ، وقوّةٍ لا تُضارَعُ، وحيويّةٍ لا نَفادَ لها. إنَّ جِلْجامِشَ يا أنْكيدو لا يَعرفُ مَعنى الرّاحةِ لا في اللّيلِ ولا في النّهارِ. وسوفَ أُريكَ إيّاهُ عمّا قريبٍ. ستَبْهَرُكَ رُجولتُه المتألّقةُ، ولَن تَشبعَ عينُكَ مِنَ التّفرّسِ في ملامحِهِ الفتّانةِ، لأنَّ تلكَ الّتي ولَدَتْهُ هي الإلاهةُ نَنْسونُ القويّةُ كبَقَرةٍ وحشيّةٍ.

تشنّفت الأُذنُ أو المَسمعُ: تزيّنَتْ بالشُّنفِ أي القِرطِ، والمقصودُ هُنا الاستمتاعُ بنشيدِ العابِ وخريرِ السّواقي.
تبجّح: افتخر وتعظّم وتَباهى.

وتَساءلَ أنْكيدو وقَدْ دَهِشَ لأقوالِ تامارَ:

ـ وهَل يَعرفُ جِلْجامِشُ بِوُجودي هُنا، أَوْ بقُدومي إليهِ؟

ـ إنَّهُ يَعرفُ كلَّ شيءٍ. هَيّا انهَضِ الآنَ مِن على الأرضِ الّتي هي مفترَشُ الرُّعاةِ.

فامتثلَ أنْكيدو لأمرِها، وقَدْ وقعَتْ أقوالُها في قلبِهِ مَوقعَ الرِّضا. ومزَّقَتْ تامارُ ثوبَها شطرَينِ، فاكتفَتْ هي بشطرٍ و**دثَّرَتْ** بالباقي أنْكيدو. ثُمَّ أخذَتْ بيدِهِ كما تأخذُ الأمُّ بيَدِ طفلِها، وسارَتْ به إلى حَيثُ يُخيِّمُ الرُّعيانُ ويَمدّونَ موائدَهُم.

فتَحلَّقَ هَؤلاءِ حولَهُ يتأمَّلونَهُ بفُضولٍ، وذُهولٍ، لأنَّ جسمَهُ المعضَّلَ المكسوَّ بالشَّعرِ كانَ يَدلُّ عى أنَّهُ إنسانٌ متوحّشٌ. وقَدَّموا له خبزاً وحليباً ليَرَوْا كيفَ يَكونُ تَصرُّفُه بإزائِهما. وعَرفَ أنْكيدو أنَّ الّذي وُضعَ أمامَهُ إنّما هو طعامٌ: الحليبُ عَرفَهُ مِن لونِهِ ورائحتِهِ،

دثَّرَتْ: لفَّتْ بالثَّوبِ.

غيرَ أنّهُ كانَ جاهلاً بالخبزِ لأنّهُ يَراهُ لِلمرّةِ الأولى. وظلَّ يَنظرُ إلى الاثنَينِ متردِّداً محتاراً ولَمْ **يَطعَمْ** أحدَهُما، لأنَّهُ لَم يَعْتَدْ شُربَ الحليبِ إلّا مصّاً مِنَ الأثداءِ، ولا أكلَ يوماً طعاماً يَجهلُه.

فقالَتْ له المرأةُ بتودُّدٍ وهِي تُقدّمُ له الخبزَ والخمرةَ:

ـ كُلْ هذا الخبزَ يا أنْكيدو؛ إنّهُ قِوامُ الحياةِ. وإذا كُنتَ لا تُحبُّ الحليبَ فاشرَبْ من هَذهِ الخمرةِ المُنعِشةِ. فالعادةُ هُنا أن يُقدَّمَ هَذانِ الصِّنفانِ للضّيوفِ.

فاطمأنَّ أنْكيدو لأقوالِها، فطَعِمَ مِنَ الخبزِ **واستساغَهُ**، **وعلَّ** مِنَ الخمرةِ القويّةِ فجُنَّ بها جنوناً. وأقبلَ على الاثنَينِ بنَهَمِهِ المعهودِ حتّى ارتَوى وانتَشى، والرُّعيانُ مِن حَولِهِ يَضحكونَ ويَعجَبونَ مِن قابليّتِهِ. مِنَ الخمرةِ وحدَها شربَ سبعةَ **قِرَبٍ**. وانتظَمَهُ الحُبورُ

يطعَمُ: يذوقُ.
استساغَهُ: وجدَهُ سائغاً أيْ هيناً وسهلَ المأكلِ أوِ المشربِ.
علَّ: شَربَ ثانيةً أو تباعاً.
القِربُ: مفردُها القِربةُ وهي وعاءٌ يوضَعُ فيه الماءُ أوِ اللّبنُ أو الخمرُ.

والانشراحُ، ورقصَ قلبُه مِنَ الطَّربِ، والتمعَ وجهُه. ثُمَّ اغتسلَ ودهنَ جِسمَهُ بالزّيتِ وصارَ إنساناً سويّاً. وحينَ تدثَّرَ بالثّيابِ وخرجَ للرُّعيانِ بهِندامِه الجديدِ، ظُنَّ عَروساً في ثيابِ عُرسِهِ.

وتقلَّدَ أَنْكيدو السّلاحَ القاطعَ، وأَخذَ بعدَئذٍ يُطارِدُ الأُسودَ، ويصطادُ الذّئابَ، فيَردُّ **غائلتَها** عَنِ القُطعانِ، وهذا ما جَعلَ الرُّعيانَ يَهنؤونَ بالنّومِ ليلاً ويَنعمونَ براحةِ البالِ نهاراً.

وهَكذا باتَ أَنْكيدو، الّذي لا **نِدَّ** له في القوّةِ والشّجاعةِ، حارسَ الرُّعيانِ وحاميَ قُطعانِهم ضدَّ الوحوشِ الكاسرةِ. وكانَ سعيداً بحياتِه الجديدةِ.

الغائلةُ. المَهلكَةُ والشَّرُّ.

النِّدُّ. المِثْلُ والنَّظيرُ.

أَنْكيدو يَتحدّى جِلْجامِش

وبينما أَنْكيدو يَقومُ ذاتَ يوم بحِراستِهِ على جاري العادةِ، وزَوجُه تامارُ جالسةٌ بقُربِه تَتأمَّلُه وتَتمنّى مِن رجولتِهِ، إذا برَجلٍ غريبٍ يُقبِلُ صوبَهُما وقَدْ بانَ عليهِ الإعياءُ الشّديدُ مِن طولِ السَّفرِ.

فقالَ أَنْكيدو لِتامارَ:

ـ تامارُ، أَسرِعي إلى هَذا الرَّجلِ واطلُبي إليهِ أَن يأتيَ إليَّ. أُريدُ أَنْ أَعرفَ سببَ مجيئِهِ.

ولمّا أَتتْ بالرَّجلِ الغريبِ سأَلَهُ أَنْكيدو:

ـ ما الّذي أَتى بكَ إلى هُنا أَيُّها الرَّجلُ؟ إنَّكَ، ولا شكَّ، آتٍ مِن مكانٍ بعيدٍ، فمشَقّةُ السَّيرِ الطّويلِ باديةٌ على وجهِكَ.

ـ أَجَلْ يا سيّدي، أنا قادمٌ مِن مكانٍ بعيدٍ. ومَن يَهربُ مِن مكانٍ بعيدٍ لَولا الجَورُ والظُّلمُ؟ إنَّ جِلْجامِشَ يا سيّدي، قَد طَغى وعاثَ الفسادَ في الشَّعبِ، فاستباحَ المحرَّماتِ واعتَدى على الحُرُماتِ. وقَدْ لَبّى الشَّعبُ بأَسرِهِ دقّاتِ طَبلِهِ.

ـ وماذا يَبغي مِنَ النّاسِ بدَقّاتِ طَبلِهِ؟

ـ يُريدُ مِنهُم أَن يَجتمعوا حولَهُ ليُلَبّوا طَلبَهُ.

ـ وما طَلبُه؟

ـ أَن يتزوَّجَ كلَّ ليلةٍ عروساً. إنَّهُ يَدّعي أنَّ هذا حقٌّ شرعيٌّ له منذُ أَن وُلِدَ.

ـ والشَّعبُ، هَل يُقرُّ له بهَذا الحقِّ؟

ـ الشَّعبُ يُقِرُّ له بهَذا على مَضَضٍ. الشَّعبُ أَعمى يا سيِّدي، بِلا وَعيٍ، يُؤخذُ بِالتُّرَّهاتِ، تَجوزُ عليهِ الأباطيلُ. وهُو يَعتقِدُ أنَّ هَذِه إرادةُ الآلهةِ وحُكمُها الّذي لا يُرَدُّ!

عاثَ الشّيءَ أفسدَهُ

وامتُقِعَ وجهُ أَنْكيدو لَدى سَماعِهِ هَذا الكلامَ، وطَمأَنَ الرَّجلَ قائلاً:

ـ سأَذهبُ في الحالِ إلى حيثُ يَبسطُ الطّاغيةُ جِلْجامِشُ سُلطانَهُ على الشَّعبِ، ولَسوفَ أَتَحدّاهُ بقوَّةٍ وأَصرخُ عالياً في «أورْخويَ»: «أنا أَنْكيدو قَد أَتَيتُ إلى هُنا لأُبدّلَ النّظامَ القديمَ وأُغيّرَ الوضعَ القائمَ، لأَنّي أنا الأَقوى هُنا».

ووَطَّدَ أَنْكيدو العزمَ على تركِ حياةِ الرُّعيانِ إلى الأبدِ، والتّوجُّهِ إلى «أورْخويَ» لوَضعِ حدٍّ لمَطامعِ جِلْجامِشَ. لَقَدْ حزَّ في نفسِهِ وهالَهُ، هو الّذي عايَشَ الحيَوانَ وعَرفَ طباعَهُ، أَن يَرى إنساناً بينَ النّاسِ، بَل مليكاً لهُم وُهبَ الحكمةَ والتّعقُّلَ، يَبُزُّ الحيواناتِ بشَرِّهِ وشراستِهِ.

وهَكذا سارَ أَنْكيدو إلى «أورْخويَ»، وخلْفَهُ تامارُ تَتأَثَّرُه مُشفِقةً وخائفةً علَيهِ مِن جِلْجامِشَ، هي الّتي

امتُقِعَ: تَغيَّرَ لونُه مِن فزعٍ أو حُزنٍ أو ريبةٍ
يَبُزُّ: يفوقُ ويغلبُ

جاءَتْ بإيعازٍ مِنهُ لتَصطادَهُ، ولِتوهِنَ قِواهُ، وتُقدِّمَهُ له إنساناً مستضعَفاً ذليلاً. لَقَدْ كَبُرَ في عَينَيها بلحظةٍ الإنسانُ المتوحِّشُ، وصغُرَ المليكُ الحكيمُ الطّاغيةُ.

كانَ برجُ الإلَهِ آنو **يَشرئبُّ** بحركةٍ مفاجِئةٍ مِن وَسْطِ أسوارِ «أورْحويَ» العاليةِ؛ وكانَتْ طبَقتُه العُليا المذهَّبةُ تَعْكِسُ نورَ الشّمسِ ساطعاً وهّاجاً في ذاكَ الصّباحِ، حينَ دنا أنْكيدو مِنَ المدينةِ المُحصَّنةِ. وهالَتْهُ هياكلُها وقصورُها، وارتفاعُ أسوارِها، وتساءَلَ بينَهُ وبينَ نفسِهِ: أَيَكونُ مليكُها عظيماً مثلَها وهائلاً؟ وتَهيَّبَهُ في قَرارةِ نفسِهِ. إلّا أنَّهُ، حينَ سارَ في أسواقِها ورأى رجالَها أُناساً عاديّينَ كجماعةِ الرُّعيانِ الّذينَ عاشرَ، راحَ يَتبخترُ في شوارعِها مُتباهياً مُختالاً بقامتِهِ الماردةِ ورجولتِهِ. ولَكنّهُ وقفَ خاشعاً متهيِّباً أمامَ مَعابدِها الّتي تَحرُسُ أبوابَها العُمُدُ وتماثيلُ وحوشٍ مُرعبةٍ لَم يَرَ لها مثيلاً في

أوْهنهُ: أتعبَهُ وأضعفَهُ.

يشرئبُّ: يبرزُ عالياً، وهي استعارةٌ من الإنسانِ الّذي يمدُّ عُنقَهُ ليَنظُرَ شيئاً

غابِه. وحينَ بلغَ السّاحةَ الكُبرى تَجمهَرَ حولَهُ النّاسُ فَرِحينَ جَذلينَ، وكانوا قَد سَمعوا به، كأنَّما السّماءُ هي الّتي أَرسلَتْهُ لهُم محرِّراً ومُنقذاً في ساعةِ ابتهالٍ وصلاةٍ.

واستبدَّتْ بِهِم الفرحةُ، وسَرَتْ بينَهُم تَمتماتٌ ووَشوشاتٌ:

- لَكأنَّهُ أحدُ الآلهةِ.
- إنَّهُ قَرينُ جِلْجامِشَ ومثيلُه الأوحدُ.
- ولَكنَّهُ أقصرُ مِنهُ قليلاً.
- إلّا أنَّهُ أَقوى عَظْماً وأَخشنُ هيكلاً.
- ثُمَّ إنَّهُ فَتى الجُرودِ وربيبُ البراريِّ.
- ولا تَنسَ أنَّهُ عاشَ على لبنِ **الضّواري**.
- لَقَدْ وَجَدَ جِلْجامِشُ أخيراً نظيرَهُ ونِدَّهُ.
- بَيْدَ أنَّ هَذا سيُعرِّفُه، ولا رَيبَ، حَدَّهُ.

وكانَ في «أورْخويَ» عيدُ أَشْخارا المقدَّسِ، أَو

القرينُ: المقرونُ بآخَرَ وكأنَّهما واحدٌ.
الضّواري مِنَ الحيواناتِ: السِّباعُ كالأسدِ والنَّمرِ.

عِشتارَ، إلاهةِ الحُبِّ. وكانَ احتفالٌ مَهيبٌ بالزّواجِ المقدَّسِ، زواجِ الكاهنةِ الّتي تَقومُ بدَورِ عِشتارَ فتتزوَّجُ بمَلكِ البلادِ ضَماناً للخِصبِ و**الإنسالِ**.

وفي هَيكلِ الحُبِّ انتظرَتِ العَروسةُ قُدومَ عَروسِها. وفي **موهنٍ مِنَ اللّيلِ** استيقظَ جِلْجامِشُ، الّذي يُمثِّلُ دَورَ العروسِ، ويَمّمَ شطرَ الهَيكلِ لمُلاقاةِ عروستِهِ. فنَجَمَ أمامَهُ أنْكيدو يَعترضُه ويَسدُّ أمامَهُ الطّريقَ. ولَمْ يَأبَهْ له جِلْجامِشُ أوّلَ الأمرِ، فحادَ عَن دربِهِ، وحاوزَهُ، وتابعَ طريقَهُ. وحينَ همّ بدخولِ الهيكلِ كانَ أنْكيدو قَد سبَقَهُ إلى البابِ بوثبةٍ سريعةٍ، وثبَّتَ رِجلَيهِ على عَتبَتِهِ، وبكَتفَيهِ العريضتَينِ وجسمِهِ الوحشيِّ انتصبَ واقفاً أمامَهُ، وجهاً لوجهٍ، يَمنعُه مِنَ الدّخولِ.

وظَنَّ جِلْجامِشُ أنّهُ إزاءَ متطفِّلٍ مغرورٍ جاءَ يَغتصِبُ حقَّهُ في هذا الزّواجِ. ثُمّ تَذكّرَ فجأةً يومَ وقفَ مثلَ هَذهِ الوِقفةِ بالذّاتِ في وَجهِ المَلكِ أَنْمِرْكارَ وكيفَ قتلَهُ.

الإنسالُ: الإيلادُ لاستمرار النّسلِ.

الموهِنُ مِنَ اللّيلِ: منتَصفُه أو بعدَ ساعةٍ مِنهُ.

وخافَ أَن يَبقى هو المصيرَ نفسَهُ. وتَماسكا، واشتَبكا في صراعٍ مَهولٍ كثورَينِ وحشيَّينِ، استعمَلا فيه الأيديَ والأرجُلَ وكلَّ حيَلِ المصارعينَ والملاكمينَ والمقاتلينَ وعُنفِهِم. كيفَ لا والاثنانِ جبّارانِ، خبيرانِ عيدانِ بفنونِ القتالِ والنّزالِ؟ فتَحطّمَتْ مِن عُنفِ صراعِهِما قوائمُ الأبوابِ، وارتجّتْ جُدرانُ الهيكلِ، وإلى السّاحةِ العامّةِ تَناهى **خُوارُهما**. وأَجفلَ النّائمونَ في «أورُحويَ»، واستيقَظوا مذعورينَ، واجفين، ظنّاً منهُم أنَّ زلزالاً ضربَ حاضِرتَهُمُ المقدَّسةَ، أو أنَّ «الفُراتَ» انتفضَ وفاضَ وتَسنّمَ أسوارَها ليَبتلِعَهُم.

ودامَ صراعُهما حَتّى مَطلعِ الفجرِ، حينَ ثَبّتَ جِنْحامِشُ، في حيلةٍ بارعةٍ، قَدمَهُ في الأرضِ، وثَنى رُكبَتَهُ، وباستدارةٍ مفاجئةٍ خاطفةٍ رَمى أَنْكيدو أرضاً. وفي الحالِ هدأَتْ ثَورتُه، ولَمْ يَشأْ أن يُجهزَ على خصمِهِ.

الخُوارُ: صَوتُ البقرِ.

وخاطبَهُ أَنْكيدو وهُو مُلقىً على الأرضِ:

ـ غلبتَني يا جِلْجامِشُ، أنا الّذي غلبْتُ الأُسودَ والنُّمورَ! حقّاً لا نظيرَ لكَ في الأرضِ يا مَن وَلَدتْه نَنْسونُ القويّةُ كبقرةٍ وحشيّةٍ. وها أنتَ ذا الآنَ تَسمو فوقَ سائرِ البشرِ، إذْ وهبَكَ الإلَهُ أَنْليلُ المُلكَ والسُّلطانَ، لأنَّ قوّتَكَ فاقَتْ جميعَ الرّجالِ.

وتَعانَقَ الاثنانِ وتَصافَيا وتَصادَقا، فتَحقَّقَ بِهَذا حُلمُ جِلْجامِشَ، وصَدقَتْ تَفسيراتُ أمِّهِ نَنْسونَ له. وصارَتْ صداقتُهما بعدَئذٍ مَضرِباً للمَثلِ، حَتّى قيلَ: «صديقانِ كَجِلْجامِشَ وأَنْكيدو».

لهوٌ مِنْ نوعٍ جديدٍ

وما إنْ تَمكَّنَتْ عُرى الصّداقةِ بينَ جِلْجامِشَ وأنْكيدو، حَتى باتَ ربيبُ البراريِّ والغاباتِ يُلازمُ عاهلَ «أورْخويَ» ملازَمةَ ظلِّهِ: فيُشاركُه في لَهوِهِ وعَبَثِهِ، ويَجلِسُ معَهُ إلى مائدةِ الشّرابِ والطّعامِ، يَسهرُ معَهُ، يَتنقَّلُ معَهُ، يَلعبانِ ويَتصارعانِ معاً، حَتّى إذا وقفَ على مَواطنِ ضَعفِهِ وقوّتِهِ، ونَزَواتِهِ وعَوائدِهِ، بَدأَ يَبثُّ فيهِ شيئاً مِن روحِهِ هو.

فقالَ له أنْكيدو ذاتَ يومٍ بعدَ أن فَرَغا مِن تَناولِ الطّعـامِ:

ـ أَلَمْ تَسأمْ يا جِلْجامِشُ حياتَكَ الرَّخوةَ السّهلةَ هَذهِ؟

وقالَ جِلْجامِشُ ضاحكاً، وهُو الّذي لا تَفوتُه فكرةٌ

أو إشارةٌ مِن صديقِهِ:

- لا، بَل يَظهرُ يا عَزيزي أنّكَ أنتَ لَم تَبقَ تُطيقُ الحياةَ الجديدةَ في مدينتِنا. إيهِ أنْكيدو، أرى أنَّ روحَ البراريِّ قَدِ استيقظَتْ عِندَكَ مجدّداً!

- وهَل في الدُّنيا أروعُ مِنها يا جِلْجامِشُ؟ أن تَستيقظَ معَ الفجرِ، وتَستقبلَ الشّمسَ الطّالعةَ في مَوكِبِها العظيم خلفَ الغاباتِ والجبالِ العاليةِ، ثُمّ تَعُبَّ بِملءِ رئتَيكَ أنفاسَ الصّباحِ المرطَّبةَ **بالطّلِّ** الفِضّيِّ، المعطَّرةَ بالزّعترِ والحَبَقِ والنّيْسانِ، ثُمّ تَمشي، تَمشي يا جِلْجامِشُ، وتَقفِزُ، وتَركضُ، وتَطيرُ خلفَ طرائدِكَ في كلِّ مكانٍ. لقَدْ كِدتُ، وحقِّ آلهتِكَ، أنسى حَتّى المَشيَ في «أورْخويَ».

وارتجّتْ جُدرانُ القصرِ لقَهقهةِ جِلْجامِشَ الّذي ما لَبِثَ أن عاوَدَهُ **وُجومُه**، **فقطَّبَ** واستغرقَ في صمتٍ

الطّلُّ: النّدى.
الوجومُ: الصّمتُ بسببِ غضبٍ أو خوفٍ.
قطّب: عبَس.

طويلٍ. ثُمّ رفعَ رأسَهُ وقالَ بألمٍ بادٍ:

ـ صحيحٌ أيُّها العزيزُ أنْكيدو، فما في «أورْخويَ» غيرُ ضيقِ الجُدرانِ والأزِقّةِ، وظُلمةِ المعابدِ والقصورِ. ما في «أورْخويَ» غيرُ العَبَثِ واللَّهوِ والهواءِ **المفعَمِ** بأنفاسِ **المُجونِ**. ما في «أورْخويَ» غيرُ المللِ والضّجرِ.

ومنذُ ذلكَ اليومِ بدأَ جِلْجامِشُ يَتحرّرُ شيئاً فشيئاً من جنونِ لَذّاتِهِ ليُبلى بجنونٍ مِن جنسٍ آخَرَ، كما توقّعَ يَمّا شيخُ حكماءِ «أورْخويَ» التّسعةِ، إذْ بدأَ يُمارسُ القنصَ كلَّ يومٍ معَ أنْكيدو، فيَخرُجانِ معاً في باكرِ الصّباحِ، ويَغيبانِ أحياناً أيّاماً عديدةً يُمضيانِها في الغاباتِ والبَراريِّ؛ وإذا عادا إلى المدينةِ فمَنْهوكَيِ القِوى، مخمورَيِ الجسمِ، يَنشُدانِ الرّاحةَ بالطّعامِ والنّومِ.

وهكذا تنفّسَتْ «أورْخويُ» الصُّعَداءَ.

وذاتَ يومٍ، والصّديقانِ في الغابةِ يَرقُبانِ مِن

المُفعَمُ: المليءُ.

المُجونُ: اللّهوُ والاستهتارُ.

مَكمنِهِما أسداً بطّاشاً بعثَ الهلعَ والهَولَ في قلوبِ الرُّعيانِ وسكّانِ المَزارعِ المجاوِرةِ، التفتَ جِنْجامِشُ، وقَدْ بانَ عليهِ الإعياءُ والسّأمُ، إلى صديقِهِ:

ـ إيهِ أنْكيدو، أينَ أنا الآنَ وأينَ كانَ يَجبُ أن أكونَ لَو لَم أكُنْ معَكَ؟! لقَدْ كُنتُ يا صَديقي، فيما مَضى، مصّاصاً للدّماءِ، وعَنكبوتاً سامّةً هائمةً تَنصُبُ شِباكَها في زوايا «أورْخويَ». وما كُنتُ لأشبعَ مِنَ اللّذّاتِ وما كُنتُ لأرتويَ، وكُنتُ أُدرِكُ أنَّ شَعبي، معَ حبِّهِ العظيمِ لي، ناقمٌ عليَّ في قرارةِ نفسِهِ، ويُبيِّتُ لي الشّرَّ في السّرِّ. أمّا اليومَ فقدِ انقلبْتُ إنساناً آخَرَ بفضلِكَ يا صَديقي، كما انقلبْتَ أنتَ على يَدِ الرّاقصةِ تامارَ. وقَدْ بِتُّ أوْثِرُ العيشَ معَكَ على العيشِ معَ أجملِ نساءِ «أورْخويَ». أنْكيدو، ما رأيُكَ في صيدٍ يُخلِّدُ اسمَيْنا في سِجلِّ الخالدينَ؟

وقَهقَهَ أنْكيدو وقالَ بسُخريّةٍ:

ـ صحيحٌ أنَّ الإنسانَ عندَما يَزهدُ باللّذّاتِ يَنشُدُ

المجدَ ويُفكِّرُ بالخلودِ.

ـ ولَكنَّهُ خلودٌ لَم يَحلُمْ به رأسُكَ المتوحِّشُ، ومجدٌ هَيهاتِ أَن يُدركَهُ **الفانونَ** أمثالُكَ!

ـ وهَل ثَمَّةَ مجدٌ أسمَى وصَيدٌ أسمنُ مِن هذا الأسدِ اللّعينِ؟

ـ ثَمَّةَ في المدى البعيدِ يا أَنْكيدو محلوقٌ جبّارٌ، ومارِدٌ متوحِّشٌ، يَرجُفُ لهَولِهِ النّاسُ والضَّواري على السَّواءِ.

وتأوَّهَ أَنْكيدو وابتسمَ ابتسامةً حزينةً، هو الّذي خَبِرَ الغاباتِ ولَمْ يَفُتْهُ حبرٌ عَن وحوشِها الضّاريةِ.

ـ تَقصُدُ الماردَ خِمْبابا؟

ـ هو بِعَينِهِ.

ـ ولَكنْ أَهونُ عليكَ صَيدُ النّجومِ مِن صَيدِ الماردِ خِمْبابا.

ـ مِن زمنٍ بعيدٍ وأنا أَتوقُ إلى مثلِ هَذهِ المغامَرةِ. ما الحياةُ العريضةُ بدونِها؟ إن هِي إلّا موتٌ بطيءٌ يا

الفانونَ: الزّائلونَ، الذّاهبونَ إلى الفَناءِ.

صَديقي. تُريدُ لي أَن أَظلَّ رهينَ قَصري طَوالَ العمرِ؟ ما الّذي جعلَكَ تَترُكُ الغابَ وأَنتَ سيِّدُهُ وإلهُه؟ أَلَيسَ في سبيلِ اكتشافِ شيءٍ جديدٍ ولَوْ على حسابِ حرّيّتِكَ وحياتِكَ؟ أَلَيسَ لإشباعِ هَذا النَّهمِ الّذي في نفسِكَ يا أَنْكيدو؟ بَلى، لقَدْ عَزمْتُ أَنْ أَصيدَ هَذا المارِدَ المتوحِّشَ، وإنّي لَصائدُه.

ودَمَعَ أَنْكيدو، هو الّذي لَمْ يَدمَعْ في حياتِهِ. مرّاتٍ كثيرةً، مَرِضَ، وجُرِحَ، وتَسمّمَ، فلَمْ تَبِدَّ عَنهُ صرخةُ ألمٍ، أَوْ يَتندَّ لَه جَفنٌ. وظَنَّ جِلْجامِشُ أَنَّ حياةَ المدينةِ هي الّتي رقّقَتْ عواطفَ صديقِهِ، فقالَ له:

ـ أَراكَ خِفتَ يا أَنْكيدو، ومَلأَ الحزنُ قلبَكَ كما ملأَتِ الدّموعُ عَينَيكَ، لمّا لفظتَ اسمَ المارِدِ حِمْبابا.

ـ ومَن لا يَخافُ المارِدَ ذا الهيئةِ المُرعِبةِ، الّذي هديرُه كسَيلِ العاصفةِ وزمجرتُه كعُبابِ الطّوفانِ، المارِدَ الّذي تَبعثُ مِن شِدقِهِ النّيرانُ والموتُ الزّؤامُ؟ ثُمَّ إنَّ هذا المارِدَ يَسكنُ في غابةِ الأرزِ العظيمةِ. الإلهُ

أَنْليلُ نفسُه عيَّنَهُ حارساً لها، وقَدْ سلَّحَهُ بقُوى الرُّعبِ السّبعِ. وإنَّهُ يَحرُسُ ليلَ نهارَ مداخلَ الغابةِ ومخارجَها مِنَ المتطفِّلينَ أمثالِكَ... لا ينامُ البتّةَ، ولا يفوتُه حسٌّ في أعماقِها. ثُمَّ تعرفُ كَم تَبعُدُ العابةُ عَن «أورْخويَ»، وما مَداها؟ أنا الّذي اكتشفْتُها حينَ كُنتُ أَهيمُ على وَجهي معَ حيَوانات البراريِّ. لا! ما مِن أحدٍ يَجرؤُ على الإيغالِ في أعماقِها.

ـ أَعرفُ هَذا يا أَنْكيدو. حُكَماءُ «أورْخويَ» خَبَّروني عَنها الشّيءَ الكثيرَ. أجدادُنا قَبلي حاوَلوا ارتيادَها وقطعَ أَرزِها ولَمْ يَعُدْ مِنهُم أحدٌ. ومعَ ذَلكَ عقَدْتُ العزمَ ووطّدْتُ النّيّةَ على أَن أَحوسَها، وأَقتلَ ماردَها، وأُزيلَ شرَّهُ مِنَ الأرضِ.

ـ ولَكنْ هَل تَعرِفُ أنَّ ما مِن مخلوقٍ يَستطيعُ تَسنُّمَ السّماءِ؟

ـ وأعرفُ أنَّ الآلهةَ وحدَها تعيشُ معَ شَمَشَ المُمجَّدِ.

البتّةَ مُطلقاً.

- أمّا نحنُ فأيّامُنا معدودةٌ على الأرضِ، وقبضُ ريحٍ همومُنا فيها، وعَبَثٌ بعَبَثٍ. بالحقيقةِ يا جِلْجامِشُ إنّي أخافُ مرافقَتَكَ في هَذهِ الرِّحلةِ.

- إذنْ سأقومُ بها وَحدي. لا خوفَ حتّى إذا مُتُّ. تَركْتُ خَلفي اسماً خالداً، وقالَ النّاسُ عنّي...

- قالوا عَنكَ: «قَضى جِلْجامِشُ وهُو يُصارِعُ خِمْبابا المتوحِّشَ»!

- يَكفي أن يُردِّدَ أولادي اسمي فيما بعدُ، ويَتذكَّروهُ إلى الأبدِ.

وتهدَّجَ صوتُ أَنْكيدو مجدَّداً، وغَشِيَتْ مَسحةٌ مِنَ الكآبةِ تقاسيمَ وجهِهِ الوسيمِ، وقالَ:

- إيهِ جِلْجامِشُ، فَئِنْ أَعطاكَ أبو الآلهةِ السُّلطانَ على النّاسِ جميعاً، إلّا أنَّهُ لَم يَمنحْكَ الخلودَ. هذا هو قَدَرُكَ. فلا يُحزِنْكَ القولُ، ولا يُكدِّرْكَ. لقَدْ وهبَكَ القُدرةَ لتَنتصرَ، والضَّعفَ لتَنكسرَ. لتَكونَ للنّاسِ النّورَ والظُّلمةَ في آنٍ معاً. ولقَدْ آثرَكَ بالتّفوّقِ على الجميعِ، ومنحَكَ النّصرَ في المعاركِ حيثُ لا مَنْجاةَ لفارٍّ مِن

وجهِكَ. فحَذارِ أن تُفرِّطَ يا صديقي في قُدرتِكَ. احكُمْ رعيَّتَكَ بالعدلِ في مملكتِكَ، وأمامَ إلَهِكَ شَمَّشَ.

وبينَما أنْكيدو يُخاطبُ جِلْجامِشَ بهَذِهِ الأقوالِ، كانَ هَذا مُصرفاً بكلِّ فِكْرِهِ إلى جبلِ الأرزِ الخالدِ. ثُمَّ قالَ لأَنْكيدو:

ـ أنا لَم أُدوِّنْ حَتّى الآنَ اسمي على الطّينِ المجفَّفِ معَ الخالدينَ، لكنّي سأسجّلُه في المكانِ الّذي سُجِّلَتْ فيهِ أسماؤهُم. وسوفَ أَرفعُ هَيكلاً للآلهةِ حيثُ لَم يُكتَبْ إلى الآنَ اسمُ إنسانٍ قَطُّ.

ـ وأنا يا صَديقي لَستُ بخائفٍ كما تظنُّ، ولَيسَتْ «أورْخويُ» هي الّتي ميَّعَتْ عواطفي. ولكنَّ قِوايَ وَهَنَتْ معَ الأيّامِ، وزايلَ ساعِدَيَّ عزمُهما القديمُ. ثُمَّ إنَّ الحزنَ أَخذَ بخِناقي غارزاً شَوكَهُ في حَلقي. ولَكنَّكَ ما دُمتَ قَد نويْتَ القيامَ بهَذِهِ المغامرةِ الكُبرى، فأنا رفيقُكَ فيها حَتّى الموتِ، لأنّهُ يَصعُبُ عليَّ مفارقةُ صديقي في ضائقتِهِ، أنا الّذي شاركتُه كلَّ هَذهِ المدّةِ في هنائِهِ وسعادتِهِ. غيرَ أنّي أنصحُكَ قبلَ أَن تَلِجَ تلكَ

الأرضَ المحرَّمةَ على المائتينَ، أن تسألَ أوّلاً الإلَهَ شَمّشَ، فثَمَّةَ الأرضُ أرضُه، لأنَّهُ حيثُما يُقطعِ الأَرزُ فهُو مُلكٌ أبديٌّ له.

المجلسُ شورى

وقبلَ أنْ يَقومَ جِلْجامِشُ بمُغامَرتِهِ الكُبرى إلى غابةِ الأرزِ، والتَّصدّي لماردِها خِمْبابا، عَقدَ في قَصرِهِ مَجمعاً لِلشّورى ضمَّ كِبارَ قادتِهِ والحكَماءَ السّبعةَ، وجميعَ كَهنةِ معابدِ الآلهةِ: آنو كبيرِ الآلهةِ، وشَمَش إلهِ الشّمسِ، وأَشْخارَ إلاهةِ الحُبِّ والخِصبِ، وأَدَدَ إلهِ الرّعودِ والأمطارِ، وأورورو الإلاهةِ المُبدعةِ، ونَنورْتا إلَهِ الحربِ، ونِصابا إلاهةِ الغلالِ والحبوبِ، وسَموقانَ إلهِ الماشيةِ، والإلاهةِ نَنْسونَ أمِّ جِلْجامِشَ، وغيرَهم. ولَمّا اكتملَ النِّصابُ وقفَ جِلْجامِشُ، بقامتِهِ المَهيبةِ وطَلعتِهِ البَهيّةِ، كأنَّهُ الإلَهُ آنو نفسُه، وخاطبَهُم قائلاً:

- إنّني لَم أشأِ القيامَ بهذهِ المغامَرةِ مِن دونِ

استشارتِكم. إنّكم إلى الآنَ لَم تَعصوا لي أمراً، ولَمْ تُخالِفوا رأياً، ولَمْ تَرُدّوا مَطلباً مَهما كانَ. وكُنتُم لي النُّصَحاءَ الأُمناءَ والأصدقاءَ الأوفياءَ في الأيّامِ السّعيدةِ كما في أيّامِ الشّدّةِ والأزمنةِ العصيبةِ. اعلَموا يا أصدقائي أنّني لَستُ أَبغي مِن وراءِ هَذهِ المغامَرةِ المجدَ فحَسْبُ، وتسجيلَ اسمي معَ الخالدينَ، وإن كانَ هَذا مَطمحي وحُلمي الأكبرَ. إنَّ لي غايةً أُخرى طالَما راودَتْ فِكْري وفِكْرَكم وأَحلامي وأَحلامَكم، وهِيَ الحصولُ على خشبٍ جميلٍ صُلبٍ صقيلٍ نَبني به قصورَنا وهَياكلَنا وبيوتَ الشّعبِ، خشبٍ لا يُفسِدُه السّوسُ ولا يُطاوِلُه البِلى. ومِثلُ هذا لا يَتوافرُ لنا إلّا في خشبِ «الأرزِ». وإنّي أَعِدُكم، يا كهَنةَ «أورْخويَ» وحكَماءَها، بأنّي، إذا مَنحَتْني الآلهةُ النّصرَ على الماردِ حمْبابا، لَأَقطعَنَّ مِن خشبِ الأرزِ ما يَكفي لجَعلِ «أورْخويَ»، أَعظمَ المُدنِ. لَأَجعلَنَّ، وحقِّ الإلهِ شَمَشَ، هياكلَها وقصورَها وسائرَ منازِلِها تَتحدّى الفناءَ، ولَأَرفعَنَّ رؤوسَها حتّى تَنطحَ السّماءَ.

وصفّقَ الجميعُ طويلاً لجِلْجامِشَ، وقَدْ أُخذوا بسحرِ كَلماتِهِ وبهاءِ طَلعتِهِ، وتَمنَّوا له النّصرَ مِن كلِّ قلوبِهِم على ماردِ الأرزِ، ودوامَ **السُّؤدُدِ** على عرشِ «أورْخوكَ». لا بَل أَجزَلوا له النُّصحَ مُخلِصينَ، هُمُ الّذينَ شاؤوا في ما مضى أن يوقِعوا به ويَدفعوه دفعاً إلى هَلاكِهِ في مغامَرةٍ مماثلةٍ. فانبرى شيخُ الحكماءِ يَمّا، وزاديقُ رئيسُ كَهنةِ الإلَهِ آنو، يَتسابقانِ في إسداءِ النُّصحِ **للعاهلِ** المعظَّمِ. قالَ زاديقُ:

ـ أمّا وقَدْ شِئتَ القيامَ بهَذهِ المغامَرةِ يا جِلْجامِشُ، فالرّأيُ رأيُكَ أوّلاً وأخيراً. إلّا أنّني آمَلُ أن تَقبلَ مِنّي هَذهِ النّصيحةَ: حرامٌ على المرءِ أن يُغامِرَ بنفسِهِ في مِثلِ سِنِّكَ... إنّكَ ما تَزالُ في **رَيْعانِ** الشّبابِ يا ولَدي.

وتَلعثَمَ حينَ لفظَ كلمةَ «ولَدي»، لأنَّهُ تَذكَّرَ في تلكَ السّاعةِ ولَدَهُ! وكأنَّ جِلْجامِشَ عَرفَ ما يَعتمِلُ في قلبِ

السُّؤدُدُ أوِ السّودَدُ: القَدْرُ الرّفيعُ، كرَمُ المَنصِبِ، السّيادة.
العاهِلُ: المَلِكُ الأعظمُ.
الرَّيعانُ مِنْ كلِّ شيءٍ: أوّلُه وأفضَلُه.

الكاهنِ الأكبرِ وما يَدورُ في **خَلدِه**، فأَطرقَ صامتاً لِئلّا يُربِكَهُ بنظرتِه الفاحصةِ الّتي **تَسبُرُ الأعماقَ**.

وتابعَ الكاهنُ الأكبرُ، وقَدْ زايَلَهُ حُزنُه لِلحَظاتٍ، ووَضُحَتْ رؤيتُه:

ـ ألا إنَّكَ يا جِلْجامِشُ، دونَ شبابِ الدّنيا، فُقتَ الجميعَ بشجاعتِكَ وقوّتِكَ ورجاحةِ عقلِكَ. لِذا لا أَستطيعُ أَن أَقولَ إنَّكَ لا تُقدِّرُ عواقبَ الأمورِ وما خَلْفَ هَذهِ المغامَرةِ مِن مخاطرَ جَمّةٍ. ولَكنَّ شيئاً واحداً أَنصحُكَ به: فمَهْما بَلغَتْ قوّتُكَ فلا تَتّكِلْ عليْها وحدَها. اسْتَعِنْ بالآلهةِ، وخُذْ مِن صديقِكَ أَنْكيدو نصيراً لكَ في الطّريقِ، ومُرشداً ودليلاً، لأَنَّهُ عارفٌ بمسالِكِ الغاباتِ والجبالِ وشِعابِها الصَّعبةِ، فضلاً عَن أنَّهُ خبيرٌ بالقتالِ. وعَسى الإلهُ آنو يُمهِّدُ أمامَكُما مَسالكَ الجبالِ الوَعِرةِ، وتَأْتيكَ مفاجآتُ اللّيلِ بما يُفرِحُ قلبَيْكُما.

الخَلَدُ: البالُ والقلبُ.

سَبرَ الأعماقَ: امتحَنَ قعرَها ليَعرِفَ مقدارَهُ.

وثَنّى الشّيخُ يَمّا على كلامِ رئيسِ الكهَنةِ، وزادَ قائلاً:

ـ اجعلْ أَنْكيدو يَسيرُ دوماً أمامَكَ، لأنَّهُ، كما قالَ رئيسُ كهَنتِنا الأكبرُ، يَعرفُ الطّريقَ إلى غابةِ الأرزِ، ثُمَّ مَن يَسِرْ في المقدِّمةِ يَحمِ الّذي خَلفَهُ. دَع أَنْكيدو يَتقدَّمُكَ دائماً، ولْيَكُنْ لكَ بمَنزِلةِ حواسِّكَ، لأنَّ الإلاهةَ أورورو سَحَتْهُ بحِسِّ العابِ الّذي تَفتقِرُ أنتَ إلَيهِ. فهُو يَتنبَّهُ للأخطارِ، ويَتداركُ الأمورَ قبلَ وُقوعِها؛ يَتنسَّمُ الفِحاخَ مِن بعيدٍ، أُذنُه تَلتقِطُ أَقلَّ حسٍّ، وبَصرُه الحديدُ يَخرُقُ عتمةَ اللّيلِ وكثافةَ الأدغالِ. وكانَ الإلَهُ شَمَشُ بعَونِكَ يا ولَدي، وأَنارَ لكَ الطّريقَ.

وخَتمَ قائدُ الجيشِ المجلسَ بقولِهِ:

ـ أمّا أنا فأَنصحُكَ بأَن تتسَّحَ بسلاحٍ قويٍّ، بسيوفٍ وفؤوسٍ ثقيلةٍ قاطعةٍ. ولا تَنسَ أَن تَتحهَّزَ بالماءِ دائماً، لأنَّ طريقَكَ طويلٌ محفوفٌ بالمَخاطرِ، ورِحتُكَ شاقّةٌ

تسَنّمَ شيئاً أو أمراً: التَمَسَهُ بلُطفٍ شيئاً فشيئاً.

مُرهِقةٌ. لا تَجعَلْ قِربتَكَ تَخلو من الماءِ. ماءً نقيّاً املأْها حَيثُما وَجدْتَهُ. أَروِ عطشَكَ بالماءِ الباردِ، وقدِّمْ مِنهُ للإلَهِ شَمَّشَ، ورَدِّدْ دائماً ذِكرَ إلَهِكَ الحارسِ لـوكـالَ بَنْدا زوجِ والدتِكَ. حرسَتْكَ الآلهةُ، وأَرجعَتْكَ إلَينا سالماً.

صلاةٌ للآلهة

وفي صباحِ اليومِ التّالي قَصدَ جِلْجامِشُ مَعبدَ الإلَهِ شَمَّشَ وهُو يَحتضِنُ جَدْيَينِ، الواحدُ ناصعُ البياضِ لا أَثرَ لبُقعةٍ عليهِ، والثّاني بُنّيُّ اللّونِ. انتصَبَ في الهَيكلِ بقامتِهِ **الفارعةِ** أمامَ الإلَهِ وبيَدِهِ **صَولجانٌ** فِضّيٌّ، وخاطبَهُ قائلاً:

ـ أيُّها الإلَهُ شَمَّشُ، أنا ذاهبٌ إلى ذلكَ الموطِنِ البعيدِ، إلى غابةِ الأرزِ أنا ذاهبٌ أيُّها الإلهُ... وإنّي أَضرَعُ إلَيكَ بأَنْ تَصونَ روحي مِنَ الهَلاكِ، وتُعيدَني سالماً إلى ميناءِ «أورْخويَ»... أيُّها الإلَهُ العظيمُ إنّني

الفارِعةُ: الطّويلةُ الحَسَنَةُ.

الصّولجانُ: العصا المعقوفةُ الرّأسِ.

أَتوسَّلُ إِلَيكَ طالباً حمايتَكَ... اجعَلْ فَأْلي حسَناً أيُّها الإلَهُ...

وأجابَ شَمَّشُ المُمجَّدُ:

ـ إنَّكَ لَقويٌّ يا جِلْجامِشُ، ولَكنْ مادا يَعني لكَ موطِنُ الحياةِ، وما قصدُكَ مِنَ السّفرِ إلَيهِ؟

وعندَئِذٍ رَفعَ جِلْجامِشُ إلَيهِ عَينَيهِ وقالَ:

ـ إيهِ أيُّها الإلَهُ شَمَّشُ، اسمَعْني واستَجِبْ دُعائي. فهُنا، في المدينةِ، يَموتُ الإنسانُ والغُصَّةُ في قَلبِهِ، يَموتُ وفي قَلبِهِ اليأسُ والقُنوطُ. وثَمّةَ، خَلفَ أَسوارِ «أورْخويَ»، رأيْتُ الجُثثَ تَطفو على وَجهِ النّهرِ، وأنا أَعلمُ أنَّهُ مَهما مَدّتِ الآلهةُ في عمرِ النّاسِ و**طَولِهِم** وقُدرتِهِم فلَنْ يُدرِكوا السّماواتِ... لا، ولَنْ يُحيطوا بالأرضِ. ولِذا عَزمْتُ على ارتيادِ ذلكَ العالَمِ الغريبِ ودخولِ غابةِ الأرزِ المخيفةِ، لأنّني، أيُّها الإلَهُ شَمّشُ، لَم أنقُشْ على الفَخّارِ اسمي بَينَ الخالدينَ. ولَسوفَ

الطَّولُ: الفضلُ والقُدرةُ والغِنى.

أَجوسُ ذلكَ الوطنَ حيثُ يُقطعُ الأرزُ، فأَحفِرُ اسمي حَيثُ سُجّلَتْ أسماءُ الخالدينَ، وأَرفعُ هَيكلاً للإلهِ حَيثُ لَم يُكتَبِ اسمُ إنسانٍ قطُّ.

وتابعَ جِلْجامِشُ ضَراعتَهُ ودُموعُه تَملأُ وَجهَهُ:

ـ رُحماكَ أيُّها الإلهُ شَمَّشُ. إنَّها لَرِحلةٌ طويلةٌ هَذي الّتي أَقومُ بها إلى أرضِ الماردِ خِمْبابا. وإذا كانَ مُقدَّراً لي أَن أُخفِقَ في مَهمَّتي فلِماذا تَبُثُّ فيَّ هَذهِ الرّغبة المُلحّةَ لأَدائِها، هَذهِ الرّغبةَ الّتي تُحرِّمُ عنيّ الرّاحةَ قبلَ أَنْ أُنجزَها؟ ثُمَّ أنّى لي أَن أَفوزَ بمَرامي إن لَم تَكُنْ أنتَ عَوني؟

«أَمّا إذا قُيِّضَ لي، يا إلَهي، أَن أَموتَ في ذَلكَ البلدِ البعيدِ، فإنّني أَموتُ دونَما أيِّ حِقدٍ أو مَوجِدةٍ. ولَكنّي، إذا عُدتُ مِنهُ بسلامٍ، فسَوفَ أَرفعُ لكَ الصَّلَواتِ في هَيكلٍ أَبنيهِ لكَ مِن خشبِ الأرزِ يطولُ السّماءَ».

وسُرَّ الإلَهُ شَمَّشُ لِتَضحيةِ الدّموعِ الّتي سَكبَها

جاسَ الشّيءَ: طلبَهُ بالحِرص وبالاستقصاء.
المَوجدةُ: الغَضبُ.

جِلْجامِشُ أمامَ مَذبحِهِ، وقَبِلَ صلواتِهِ. وأَظهرَ له الإلَهُ العظيمُ عَطفَهُ ومَرضاتَهُ، فَمَدَّهُ بِحُلَفاءَ أقوياءَ في قتالِهِ ضِدَّ المارِدِ خمْبابا. مَدَّهُ بأبناءٍ ثمانيةٍ مِن أمٍّ واحدةٍ أسكَنَهُم كُهوفَ الجبلِ، هُمُ الرّياحُ العاتيةُ الآتيةُ: ريحُ الشِّمالِ، والرّيحُ **المُزَوْبِعَةُ**، والرّيحُ العاصفةُ الجليديّةُ، والرّيحُ العاصفةُ المُحرِقةُ، والرّياحُ العظيمةُ، والسّامّةُ، والعاصفةُ الهَوجاءُ، والإعصارُ المجنونُ... ومِثْلَ الأفاعي، ومِثلَ التّنانينِ، مِثلَ النّارِ المتأجِّجةِ، مِثلَ حيّةٍ تُجلِّدُ القلبَ، وطوفانٍ مدمِّرٍ، وألسنةِ البرقِ الملتهبةِ، هَكذا كانَ حُلَفاءُ جِلْجامِشَ الّذينَ جَهّزَهُ بِهِمِ الإلَهُ شَمَّشُ.

وكانَ فرحُ جِلْجامِشَ بِحُلَفائِهِ عظيماً.

المزوبعةُ: الّتي تهيجُ وتتصاعَدُ إلى السّماءِ.

عُدَّةُ جِلْجامِشَ الحربيّةُ

ثُمَّ أَمَرَ جِلْجامِشُ صانِعي الأَسلحةِ، والصّاغةَ، والحدّادينَ، بإعدادِ عُدّةٍ حربيّةٍ لَم يُصنَعْ مِثلُها مِن قبلُ، بمَتانتِها وجودَتِها وجَمالِ سَبْكِها وصياغتِها، عُدّةٍ تَصْلُحُ لمُنازلَةِ خصمٍ مَهولٍ كالماردِ حِمْبابا.

فشَمَّرَ أصحابُ الحِرَفِ عَنِ السّواعدِ لصَكِّ السّيوفِ والفؤوسِ والسِّهامِ الرّائشةِ. وقامَتْ فِرَقُ الحطّابينَ تَجوسُ الغاباتِ والأَوديةَ بَحثاً عَن جذوعٍ مِنَ الزّانِ والحَورِ والصَّفصافِ يَصلحُ خشبُها لمَقابضِها ومَسكاتِها.

المَهولُ: المخيفُ، ذو الهَوْلِ.

الزّانُ أَوِ الرّيْنُ: شَجرٌ كانَ الأَقدمونَ يَصنعونَ مِنهُ الرِّماحَ.

وضجّتْ «أورْخويُ» مِن أَقصاها إلى أقصاها بالأوامرِ، وغناءِ العمّالِ، وأزيزِ النّيرانِ في مَجامرِ الطّينِ الهائلةِ، وشخيرِ مَنافخِ الحدّادينَ وصوتِ مَطارقِهِم على **السّنادينِ**. وبلَغَ لَهَبُ **الأكوارِ عَنانَ السّماءِ**، و**انْتَشَتْ** «أورْخويُ» بالدّخانِ ورائحةِ المَعدِنِ **المُصهَّرِ**.

وصُبّتْ لجِلْجامِشَ وأنْكيدو فؤوسٌ وسيوفٌ قاطعةٌ، صَقيبةٌ، وثقيلةٌ جدّاً لا يَقوى على رَفعِها أَقوى الرّجالِ، إذْ إنَّ مَقابضَها كانَ يَزِنُ الواحدُ مِنها ثلاثينَ رَطلاً. وأُطلقَ على فأسِ جِلْجامِشَ اسمُ «عزمُ الأبطالِ»، وعلى قوسِهِ «قوسُ أَنشانَ».

وفي السّاحاتِ العامّةِ، والطُّرقِ، أخذَ الصّبيانُ، الّذينَ سَمعوا مِن آبائِهم وأمّهاتِهِم بمغامرةِ جِلْجامِشَ

السّنادينُ: مفردُها السّندانُ وهو آلةٌ يُطرقُ عليها الحديدُ وغيرُه.
الأكوارُ: مفردُها الكورُ وهو فرنٌ أو مَحمرةٌ مِن طينٍ.
عَنانُ السّماءِ: أعلى ما يَبدو مِنها.
انتشَتْ: سَكرَتْ.
المصهّرُ: المذوّبُ.

وصديقِهِ أَنْكيدو، يُمثِّلونَ دَورَ البَطلَينِ في مبارَزتِهِما المارِدَ المتوحِّشَ، مستعمِلينَ العِصِيَّ والقُضبانَ سيوفاً وفؤوساً. فكانوا على التَّوالي جِلْجامِشَ، وكانوا أَنْكيدو، وكانوا المارِدَ خمْبابا. وكَمْ مِن صِبْيَةٍ انهالَتْ علَيهِم ضَرَباتُ البطلَينِ جِلْجامِشَ وأَنْكيدو، فتَركوا السّاحةَ ممزَّقي الثِّيابِ، مجروحينَ، يَبكونَ ويُوَلولونَ لقيامِهِم بدَورِ نافثِ اللَّهَبِ خمْبابا!

كانَ الصَّباحُ قَد هَلَّ حينَ تَدفَّقَ أهلُ «أورْخويَ» مِن بوّابتِها العظيمةِ ذاتِ **المزاليجِ** السّبعةِ، لِيَشهدوا الجبّارَينِ جِلْجامِشَ وأَنْكيدو في حُلَّتَيْهِما الحربيّتَينِ المَجيدتَينِ، ويُمتِّعوا النَّظرَ بأسلحتِهِما البرّاقةِ.

ووَقفَ جِلْجامِشُ في وَسَطِهِم يَخطُبُ فيهِم، وقَدْ أَخذَ بيَمينِهِ فأسَهُ الجبّارةَ، وتَمطَّقَ بسَيفِهِ ذي القِرابِ الذَّهبيِّ. وبانَتِ السِّهامُ مِن جَعبتِهِ خلفَ ظَهرِهِ، حادّةَ الرّؤوسِ، لمّاعةَ المَعدِنِ، كأنَّها أَلسِنةُ الأَفاعي. وعلى

المَزاليجُ: مفردُها المزلاجُ وهُو ما يُستعمَلُ لإغلاقِ البابِ.

صَدرِهِ العريضِ تمدَّدَتْ قوسُه «أَنْشانُ» الّتي سَهمُها لا يُخطِئُ الهدفَ.

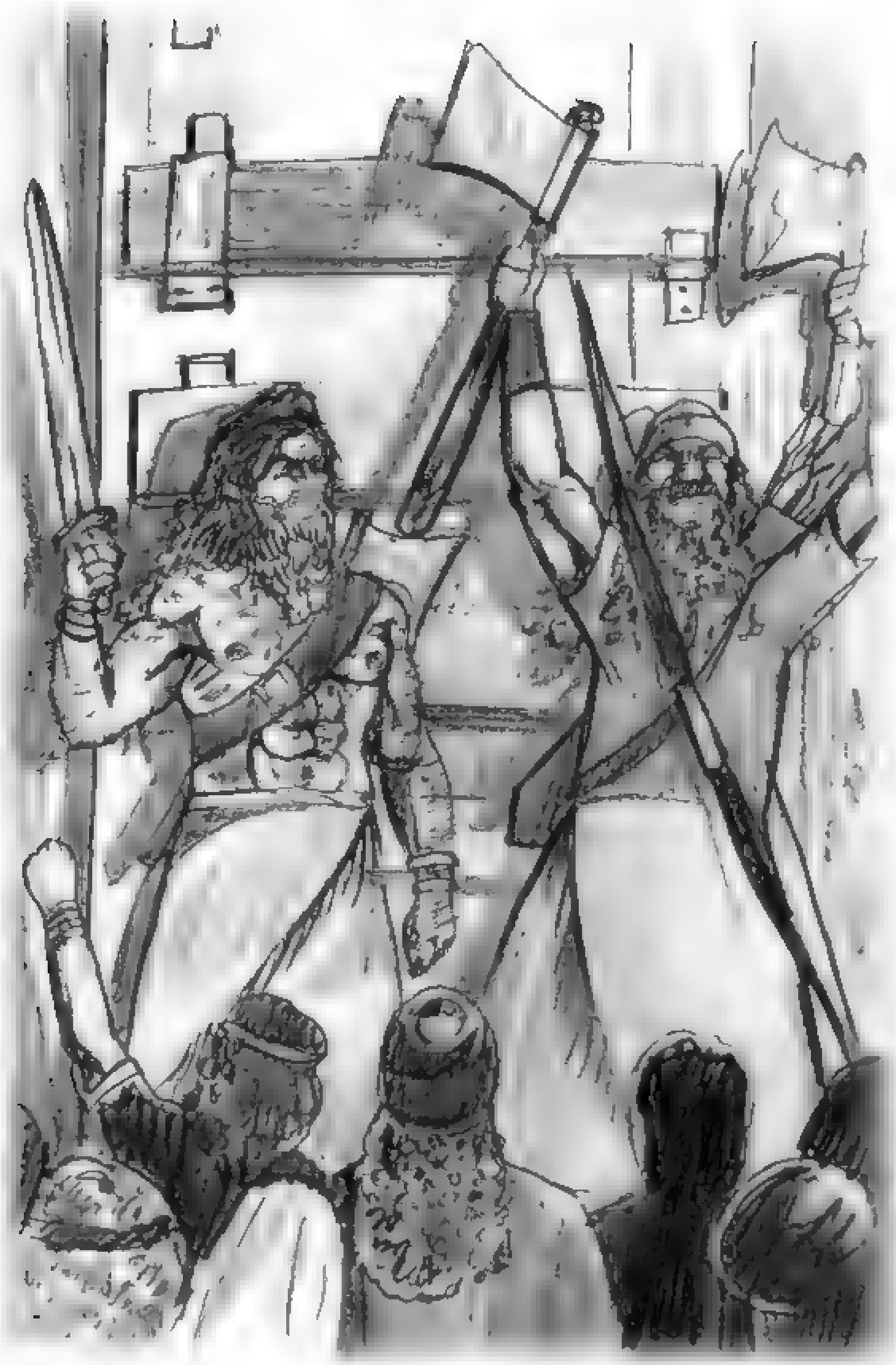
وقالَ جِلْجامِشُ:

ـ أمّا وقَدْ أُعدَّتْ عُدّتُنا الحربيّةُ، فإنّنا الآنَ على أُهْبَةِ الرّحيلِ لنَشهدَ ذلكَ المخلوقَ العجيبَ الّذي باتَ اسمُه على كلِّ لسانٍ وملأَ هَولُه الدّنيا. ولسَوفَ أُهاجمُه في غابِهِ حَيثُ خشبُ الأرزِ الثّمينُ، وأُريهِ بأسَ أبناءِ «أورُخويَ»، لتَلهجَ بذِكرِهِ الأجيالُ على مَرِّ الزّمنِ. إنّها السّماءُ انتدبَتْني لِركوبِ هٰذهِ المَخاطرِ، فأتَسلّقُ الجبلَ الشّامخَ، وأَقتلُ الماردَ الجبّارَ وأُزيلُ شرَّهُ مِنَ الوجودِ. إنّها الآلهةُ أَهابَتْ بي وبصَديقي أَنْكيدو لِلقيامِ بِهٰذِهِ المَهمَّةِ لنُغنِيَ «أورُخويَ» بخَشبِ الأرزِ الّذي لا يُثمَّنُ.

وصفّقَ الشّعبُ لجِلْجامِشَ، وانهالَتْ علَيهِ الأسئلةُ مِن كلِّ جانبٍ:

ـ متى ستَعودُ إلَينا يا جِلْجامِشُ؟

ـ بكَمْ نهاراً وليلةً ستَقطعُ المسافةَ إلى جبلِ الأرزِ؟



ـ أيُّ نوعٍ مِنَ الآلهةِ أَوِ النّاسِ أَوِ الحيَوانِ هو الماردُ خِمْبابا؟

ـ هَل أَسلحتُه مثلُ أَسلحتِكَ؟

ـ كيفَ تُحاربُ النّارَ الّتي يَنفُثُ، بفأسِكَ وسَيفِكَ يا جِلْجامِشُ؟

وهَكذا. ثُمَّ انْبرى الشّيوخُ والحُكَماءُ يُزوِّدونَ مَلِكَهُم بأَدعيَتِهِم ونصائِحِهِم الأخيرةِ:

ـ احترِسْ يا جِلْجامِشُ، وكُنْ يَقِظاً، وخَلِّ ضَرَباتِكَ الحاسمةَ للنّهايةِ، وعَسى الإلَهُ شَمَّشُ يُحقِّقُ أُمنيّتَكَ ويُري عينَيكَ ما تفوَّهَتْ به شفَتاكَ. لِيُمهِّدْ سُبُلَكَ ويَفتحْ أمامَكَ مَنافذَها المسدودةَ. لِيَمنحْكَ اللّيلُ بَرَكاتِهِ.

وحينَ رأى أَنْكيدو أنَّ نُصحَ الشّيوخِ طالَ، تأبَّطَ ذراعَ صديقِهِ وقالَ:

ـ هَيّا اتبَعْني يا صديقي، فلا خوفَ علَيكَ ولا خطرَ. فالطّريقُ إلى الأرزِ أعرفُها جيّداً، وأَعرفُ أَيضاً مَسالِكَ الماردِ المُخيفِ. فمُرِ الآنَ الشّيوخَ وعامّةَ الشّعبِ بأَن يَعودوا إلى بيوتِهِم ويَفسحوا أمامَنا الطّريقَ، لأنَّ الوقتَ

رَحَمَنا، والشّمسَ بدأَتْ تَتَسَنّمُ بُرجَ الإلهِ شَمَش.

وعندَئذٍ قالَ الشّيوخُ:

ـ لِيَكُنْ لكَ أَنْكيدو دليلاً حارساً أميناً يا جِلْجامِشُ، ولْيَقُدْكَ سالماً إلى ميناءِ «أورْخويَ».

تتسنّمُ: تعلو فوقَ.

بوّابةُ الأرزِ

لَم تَكُنْ هُناكَ طريقٌ سالكةٌ مرسومةٌ مِن «أورْحويَ» إلى جبلِ الأرزِ. ولِذا كانَ يَتعيّنُ على جِنْحامِش وأنْكيدو أَن يَمُرّا بغاباتٍ وأوديةٍ كثيرةٍ، ويَقطعا سهولاً و**سُهوباً** شاسعةً واسعةً، وأنهُراً وسواقيَ عديدةً. وكانَ عليهِما أَن يَتسلّقا التّلالَ والجبالَ الشّامخةَ الوَعِرةَ، ويَتعرّضا في طريقِهِما إلى مخاطرِ الحيواناتِ المفترسةِ، وحرِّ الشّمسِ، وبردِ اللّيالي القارسةِ في الجرودِ و**الصّرودِ**... هَذا فضلاً عَنِ العطشِ والجوعِ اللّذَينِ **لا مَعْدى عَنهُما**.

السُّهوبُ: مفردُها السُّهبُ وهُو الأرضُ البعيدةُ المُستويةُ.
الصّرودُ: مفردُها الصَّرْدُ وهُو المكانُ المرتفعُ في الجبالِ.
لا مَعْدى عَنهما: لا يُمكِنُهما مُجاوزَتُهما.

فكانا إذا انقطعَ زادُهما، اصطادا الطّيورَ والأرانبَ البرّيّةَ، أَو **تبلّغا** بالأعشابِ والثّمارِ والحبوبِ البرّيّةِ. أمّا الماءُ فكانا يَحفظانِهِ في القِرَبِ، **يَضِنّانِ** بشُربِهِ إذا انقطعَ. وإذا صادَفا نبعاً أَو ساقيةً يَعِلّانِ حَتّى الارتواءِ، ويَملأانِ قِرَبَهما بمياهٍ جديدةٍ.

وكانا يَسيرانِ في اللّيلِ وفي النّهارِ. وإذا توقّفا فلِيتناوَلا طعامَهما على عَجَلٍ، أَو يأخذا قسطاً مِنَ الرّاحةِ بقليلٍ مِن النّومِ لا يَتعدّى السّاعةَ أَوِ السّاعتَينِ. وكانَتْ مِشيَتُهما، بحُكمِ تَمرُّسِهِما الدّائمِ في الصّيدِ ومطاردةِ الحيواناتِ البرّيّةِ، أَقربَ إلى الهَرولةِ والرّكضِ السّريعِ، فيَقطعانِ بيومٍ واحدٍ مسافةَ نصفِ شهرٍ تقريباً.

وهكذا، بثلاثةِ أيّامٍ قطَعا المسافةَ، عَبْرَ سبعةِ جبالٍ، مِن «أورْحويَ» إلى الأرزِ، أَو بالأَحرى إلى بوّابةٍ عظيمةٍ قائمةٍ على تُخومِهِ مِن جهةِ الغربِ. ولَمْ يَكونا، إلى ذلكَ الحينِ، قَد شاهَدا بعدُ مِنَ الأرزِ الشّامخِ

تبلّغَ بالشّيءِ: اكتفى وقنعَ به.
يضنّانِ: يبخلانِ.

كالبُرجِ سِوى خشبِهِ المجيدِ مجسَّداً في تلكَ البَوّابةِ الهائلةِ.

كانَتْ تلكَ البَوّابةُ مصنوعةً بإتقانٍ مِن صُلبٍ مُصفَّحٍ بالمَعدِنِ الصّفيقِ، وتَدورُ على مِحورٍ عجيبٍ. وكانَ ارتفاعُها أربعاً وعشرينَ ذراعاً، وعرضُها عشرينَ. ويُقالُ إنَّها صُنِعَتْ في «نَيْبورَ» مدينةِ الإلَهِ أَنْليلَ المقدَّسةِ.

ووَقفَ جلْجامِشُ حِيالَها مَشدوهاً ويَدُه على قبضةِ الفأسِ. وظنَّ أنْكيدو أنَّهُ خائفٌ مِنِ اقتحامِها، فبادرَهُ القولَ:

ـ أينَ تبجُّحاتُكَ وشجاعتُكَ يا جلْجامِشُ؟ ألا تَقدَّمْ وهاجِمْها يا ابنَ «أورْخويَ»، ولا تَهَبْ، فلَيسَ ثَمّةَ ما يُخيفُ.

ـ حسنٌ يا صديقي، فَلْنُعالِجْها بفأسَيْنا، ونُباغِتْ حارسَها قبلَ أنْ يُفلِتَ مِن أيدينا ويَختفيَ في غابِهِ.

الصّفيقُ: الكثيفُ، السّميكُ.

ـ صَدقْتَ، فَلْنُسارِعْ في تَحطِيمِها قبلَ أَن يَتسلَّحَ بِدروعِهِ السّبعِ، فلعلّهُ الآنَ لَمْ يَرتدِ مِنها سِوى الدّرعِ الأولى.

وبخُطىً جبّارةٍ تقدّمَ أَنْكيدو أوّلاً نحوَ بوّابةِ الأرزِ العظيمةِ، شاهراً فأسَهُ في يَدِهِ ليُهوِيَ بها عليْها. إلّا أنّهُ ما عتّمَ أَن تَراجعَ عنها وقَدْ أُخِذَ بِروعتِها وجمالِها الحارقِ. لقَدْ أَبَتْ فأسُه أَن تُهوِيَ على الخشبِ الصّقيلِ النّبيلِ تُشوِّهُه وتُقطِّعُه إرْباً إرْباً.

قالَ جِلْجامِشُ حينَ رأى صديقَهُ يَتردّدُ:

ـ كُنتَ تُعيِّرُني بالجُبنِ منذُ قليلٍ. ما للفأسِ تَرجُفُ في يدِكَ الآنَ؟

ـ الحقيقةُ أنّني شعرْتُ فجأةً بوَهنٍ في قِوايَ، وبأنَّ زَندي تَخونُني. لكأنَّ هَذهِ البَوّابةَ تَحرسُها عينُ الآلهةِ. فمِنَ الخيرِ لنا يا صديقي أَنْ نَكُفَّ عَن هَذهِ المغامرةِ ونَعودَ أدراجَنا.

ـ إيهِ أَنْكيدو، يا صديقي العزيزَ! كَلماتُ الجُبنِ لا أُحبُّ سماعَها مِنكَ. وهَل نحنُ غامَرْنا بحياتِنا لِنَنكفِئَ

مخذولينَ ونعودَ إلى «أورْخويَ» **صِفرَي اليدَينِ**؟ عَهدي بكَ شجاعاً مِقداماً يا ربيبَ البراريِّ، أيُّها **المحنّكُ** في فنونِ القتالِ. هَيّا، تعالَ قفْ بجانِبي يُفارِقْكَ جَزَعُكَ مِنَ الموتِ، ويُزايِلْكَ ضَعفُ زَندِكَ. أَمْ تُرى صديقي يَوَدُّ أَن يَقفَ خَلفي **يُظاهِرُني**؟

وحينَ رأى جِلْجامِشُ أنَّ صديقَهُ لا يُجيبُ تابعَ:

- لا يا أنْكيدو، فسَنَلِجُ معاً قلبَ الغابةِ، ولْتَستيقِظَنَّ شجاعتُكَ للقتالِ المُقبلِ. انسَ الموتَ واتبَعْني، فالرَّجُلُ الحازمُ المِقدامُ لا يَتردَّدُ ولا يَجبُنُ. ثُمَّ حَيثُما يَسِرِ اثنانِ معاً يَصُنِ الواحدُ مِنهُما نفسَهُ ويَحفظْ مُرافقَهُ. وإذا قُدِّرَ لهُما أن يَسقُطا تَرَكا خَلفَهُما اسماً باقياً على مَرِّ الزّمنِ.

كانَتِ الشّمسُ قد آذنَتْ بالمغيبِ. وقبلَ أن يُقدِمَ الصّديقانِ على تحطيمِ بَوّابةِ الأرزِ شَرَعا بحَفرِ بئرٍ

صفرُ اليدين: خالي اليدَينِ، فارغُ اليدَينِ.
المُحنّكُ: المُجرّبُ الّذي جعلتْهُ التّجاربُ خبيراً حكيماً.
يظاهرُني: يُعاونني، يُساندُني.

وقرّبا الماءَ للآلهةِ. وكانَ التّعبُ قد أخذَ منهُما كلَّ مأخذٍ. وقبلَ أن يَأخُذا قِسطَهُما مِنَ الرّاحةِ بالنّومِ، ارتقى جِلْجامِشُ تلّةً هُناكَ، وسكبَ على صخرةٍ عسلاً مُصفّىً ورفعَ عينَيهِ إلى الجبلِ العالي وخاطبَهُ قائلاً:

ـ أيُّها الجبلُ، يا مَسكَنَ الآلهةِ، أَعطِني اللّيلةَ أن أرى حُلماً يُفرِحُ القلبَ.

واستجابَتِ الآلهةُ دَعوَتَهُ، إذ إنَّهُ ما استَلقى وأَغمضَ عينَيهِ حَتّى انتظمَتْهُ أمواجُ الكَرى، فاستيقظَ في موهِنٍ مِنَ اللّيلِ، وأَيقظَ رفيقَهُ ليَقُصَّ عليهِ الحُلمَينِ اللّذَينِ رآهُما.

ـ لقَدْ حَلَمْتُ حُلمَينِ يا صديقي مَلأا قلبي غِبطةً وانشراحاً مِن غيرِ أَن أعرفَ لهُما تفسيراً. كُنتُ أنا وأَنتَ واقفَينِ على رأسِ جبلٍ، وتحتَنا هوّةٌ سحيقةٌ لا قرارَ لها. وفجأةً تَزلزلَ الجبلُ وهَوى، فإذا نَحن واقفانِ حِيالَهُ وكَأنَّهُ مِن أصغرِ الحشراتِ.

«وفي حُلمي الثّاني أيضاً رأيْتُ الجبلَ يَسقطُ فيَصدِمُني هَذهِ المرّةَ ويُكبِّلُ رِجليَّ تَحتي. ثُمَّ إذا بنورٍ

ساطعٍ يَفوقُ بهاءَ العالمِ، يَنتشِلُني مِن تحتِ الجبلِ ويُقدِّمُ لي ماءً لأشربَ؛ فيُزايلُني خَوفي، وتَعودُ إلى رِجليَّ قِواهُما، فأَقِفُ على الأرضِ بثباتٍ ويَرتاحُ قلبي».

فقالَ أنْكيدو ربيبُ السّهولِ:

ـ حُلمُكَ رائعٌ يا صديقي، ويُبشِّرُ بالخيرِ. فالجبلُ الّذي رأيْتَ إنّما هو الماردُ خِمْبابا. وسَوفَ نَقبِضُ علَيهِ عمّا قريبٍ، فنَقتلُه ونَقذِفُ به إلى الأعماقِ، تماماً كالجبلِ الّذي رأيتَ يَهوي إلى أعماقِ السّهلِ.

وفي اليوم التّالي حفَرا بئراً وقدّما ماءً وعسلاً للآلهةِ، وخاطَبَ جِلْجامِشُ الجبلَ مجدَّداً:

ـ أيُّها الجبلُ، يا مَسكَنَ الآلهةِ، أَرسِلْ هَذهِ المرّةَ حُلماً لصديقي أنْكيدو، واجعَلْهُ خيراً يا إلَهي.

واستجابَ الجبلُ دعاءَ جِلْجامِشَ، فرَأى أنْكيدو حُلماً، ولَكِنَّهُ كانَ مشؤوماً يُنذِرُ بالوَيلِ. فعَرَتْهُ قُشَعْريرةٌ جَعلَتْهُ يَتلوّى على نفسِهِ ويَنكمِشُ ويَرجُفُ مثلَ عُشبةٍ تحتَ وابلِ المطرِ.

وكانَ جِلْجامِشُ جالساً بقُربِهِ يُسنِدُ ذَقنَهُ إلى رُكبتَيهِ. ولمّا استفاقَ أنْكيدو مِن نومِهِ عندَ منتصَفِ اللّيلِ، كانَ مُمتقَعَ الوَجهِ، ترجُفُ أطرافُه كالمُصابِ بالحُمّى، فقالَ لصديقِهِ:

ـ أأنتَ الّذي نادَيتني، أم إنّني استيقظْتُ مِن تلقاءِ نفسي؟ ما هَذا الرُّعبُ الّذي يَستولي عليَّ؟ إنّي أُحِسُّ بأنَّ أعضائي شُلَّتْ شلّاً.

وأردفَ بعدَ أن تَمالَكَ:

ـ لقَدْ رأيْتُ بدوري حُلماً كانَ بجُملتِهِ مُخيفاً جِدّاً. فقَدْ أخذَتِ السّماءُ تُزمجرُ والأرضُ تُزمجرُ... فتساقطَ النّهارُ وحلّتِ الظُّلمةُ، وأبرقَتِ البُروقُ، وأرْعدَ الرّعدُ، وتلبّدَتِ الغيومُ في السّماءِ، واكفهرّتْ وأمطرَتْ موتاً. وعِندئذٍ زالَ النّورُ، وخَمدَتِ النّيرانُ، واستحالَ كلُّ شيءٍ إلى رمادٍ أخذَ يتساقطُ ويَملأُ الكونَ. هذا هو حُلمي يا جِلْجامِشُ، فأرى أنْ نُبارِحَ المكانَ.

ـ لا يا أنْكيدو. إنَّ الآلهةَ لتُهيبُ بنا في هَذهِ الأحلامِ الثّلاثةِ أنْ نُقدِمَ على العملِ الّذي لأجلِهِ عامَرْنا

بأرواحِنا. تعالَ نُحطِّمْ بِفأسَينا بَوّابةَ الأرزِ، ونُباغِتِ المارِدَ المُرعِبَ في عَرينِه.

وبعزمٍ واحدٍ، وطوالَ يومٍ كاملٍ، انهالَ الاثنانِ بفأسَيْهما الكاسرتَينِ على بَوّابةِ الأرزِ فَحَطَّماها تحطيماً **ذَريعاً**. وكانَ وَقعُ ضَرباتِهِما **العتيّةِ** يَرقى الجبلَ ويَبلغُ الغابةَ.

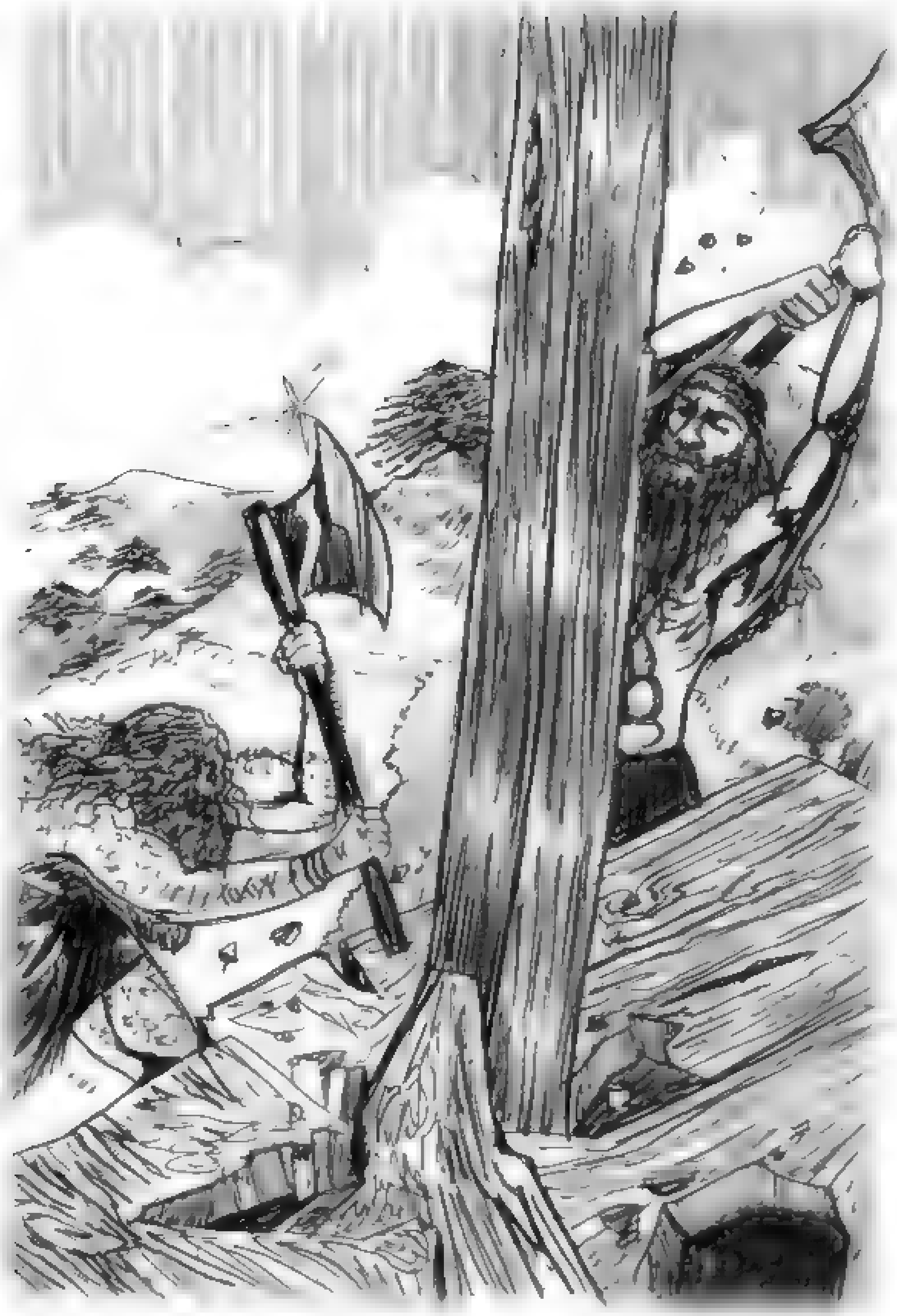
وهَكذا كانَتْ أَقدامُهما أوّلَ أقدامٍ تَدوسُ الأرضَ المحظورةَ مُنذُ الأَزلِ. ثُمَّ شَرَعا بتَسلُّقِ الجبلِ حَتّى اهتدَيا إلى **شِعبٍ** ضيّقٍ يُفضي إلى القِمّةِ، فرَقِياهُ بعَزمٍ وإصرارٍ.

وكَمْ كانَتْ دَهشتُهما عظيمةً حينَ أشرَفا مِن قِمّةِ الجبلِ على غابةِ الأَرز الخالدةِ! لقَدْ أطَلّا عليها معَ إطلالةِ الشّمسِ الأولى، وضَبابُ الفجرِ يَنحسِرُ عَنها شيئاً فشيئاً، تَتدافعُ فُلولُه المهزومةُ أمامَ مَوكِبِ النّورِ،

ذريعاً: سَريعاً.

العتيّة: الجبّارةُ.

الشِّعبُ: الطّريقُ في الجبل.



يَزحَمُ بعضُها بعضاً فوقَ الوادي ليتَساقطَ في أعماقِهِ.

وكُلَّما ذَرَّ قرنُ الشّمسِ وتَدانى قُرصُه مِن ذُرى الجبلِ، اشْرَأبَّ الأرزُ نحوَ العلاءِ خِضَمّاً مِنَ الاخضرارِ مالئاً الأرضَ والسّماءَ. وكأنَّما الاثنانِ، الأَرزُ والشّمسُ، يُسارِعُ واحدُهما إلى الأُخرى ليَتعانَقا بحبٍّ عظيمٍ، ويُعلِنا للكونِ ولادةَ نهارٍ جديدٍ.

وظلَّ البَطلانِ هَكذا لَحظاتٍ يَتأمّلانِ رِحابَ الأَرزِ ويَعُبّانِ مِن بهائِهِ... ثُمَّ أَخذا، ببُطءٍ واحتراسٍ، يَهبِطانِ مُنحدَرَهُ نحوَ الغابةِ. وأَحَسّا فجأةً كأَنَّ الفضاءَ يُطبقُ عينَيْهما إطباقاً، فإذا الشّمسُ الّتي تَتسنَّمُ الجبلَ، والسّماءُ الّتي تُظلِّلُ الغابةَ، تَختفيانِ معاً عَنِ الأَنظارِ، وقَدْ حَجبتْهما فروعُ الأَرزِ المتشابكةُ المُسترسِلةُ عَبْرَ الفضاءِ كلِّهِ. فخامرَهُما شعورٌ بالخِشيةِ يَشوبُه خُشوعُ الدّاخلِ إلى مَعبدٍ. وحينَ وَطِئَتْ أَقدامُهما أرضَ الغابةِ، وقَدَّما فيها خُطُواتِهِما الأولى، خُيِّلَ إليهِما أنَّهُما يَدخُلانِ عالَمَ ظِلالِ الموتِ: فهَذهِ أنفاسُه تَغزو رِئَتَيْهما بَليلةً، باردةً، جليديّةً، وبعدَ قليلٍ سيَقرعُ

سَمْعَهما خُطُواتُه المَهولَةُ. عجَباً! أينَ ساكِنو الغابةِ، وأينَ حارسُها؟ أينَ أُسودُها ونُمورُها، وأينَ طيورُها الكاسرةُ؟ أما تَزالُ هاجعةً بالأَوكارِ؟ كلّا يا جِلْجامِشُ، كلّا يا أنْكيدو! ومَهلاً! لَم تَبغُا بعدُ حَتّى المَدخلَ، فسكّانُ مدينةِ الهَولِ الأصليّونَ لا يَقطُنونَ ضواحِيَها.

ووَقَفا هُنَيهةً يَتأمَّلانِ المكانَ. لَم يَكنْ يُسمَعُ سِوى صوتِ السّكونِ وحدَهُ، السّكونِ المُقلِقِ، المُحيِّرِ، المُراوِغِ، الّذي هو أشدُّ هَولاً مِن قصفِ الرّعودِ وزَأْرِ الأُسودِ، السّكونِ الّذي يَسبِقُ حضورَ ماردِ الغابةِ وقدومَهُ الوَشيكَ.

كانَ الخريفُ قَد هَلَّ، فالرّيحُ تُحوِّمُ حولَ الغابةِ لأَنَّهُ لَم يَكنْ لها مَنفذٌ تَلِجُ مِنهُ إلَيها؛ وإذا ما وَلَجَتْها فهِي مخنوقةٌ فيهِ ومَيتةٌ. واستأنسَ الصّديقانِ بحُزمةٍ مِنَ النّورِ الباهتِ تَرامَتْ فَوقَ بُقعةٍ مِن أرضِ الغابةِ مفروشةٍ بأوراقٍ يابِسةٍ دَكناءَ. حُكَماءُ «أورْخويَ» يَزعمونَ أنَّ الفَجوةَ في سماءِ الغابةِ، حيثُ يَتسلّلُ مِنها النّورُ، إنَّما

حَدثَتْ بفِعلِ الثُّلوجِ الّتي تَراكَمتْ معَ الأيّامِ فوقَ الجذوعِ فقَصَفَتْها قَصفاً.

وقبلَ أن يَتوغَّلا عميقاً في الغابةِ، وَقفا محدَّداً يَتأمَّلانِ رِحابَها: يا لَعظمةِ الأرزِ وجَلالِهِ! لكأنَّ الزّمانَ يَغفو في ظِلالِهِ مُنذُ الأزلِ. هُنا مَقرُّ الآلهةِ، وهُنا عرشُ عِشْتارَ إلاهةِ الحُبِّ والجَمالِ؛ وهَذهِ المَمرّاتُ والفَسَحاتُ والأَنفاقُ بينَ الجُذوعِ إنَّما هي أَروِقةٌ ورِدْهاتٌ وباحاتٌ في هياكِلها الّتي لا تُحصى.

يا لَعظَمةِ الأرزِ ومَهابتِهِ وقُدسيّتِهِ: أشجارٌ عِملاقةٌ، رحيبةُ الفروعِ، عظيمةُ الهَياكلِ، رائعةُ التّكوينِ، أبديّةُ الاخضرارِ! أشجارٌ تَنبُعُ مِنَ الوِهادِ، تَنبثِقُ مِن حَنايا الجبلِ، تَشرئبُّ مِن رَواسيهِ وسفوحِه فتَتسامى في العلاءِ أعمدةً للمَعابدِ الأبديّةِ والقِبابِ السُّندسيّةِ!

غيرَ أنَّ مجرّدَ التّفكيرِ في إعمالِ الفأسِ بهذهِ الأشجارِ وَحدَهُ حِلْحامِشُ تَدنيساً لمقرِّ الآلهةِ وحريمةً بحقِّ شَمَّشَ إلَهِ الغابةِ. ولَكنْ أليسَ مِن أجلِ قطعِ الأرزِ، وقتلِ ماردِهِ، تَكبَّدَ هو ورفيقُه الصِّعابَ ومَشقّةَ السَّيرِ

إلى هنا؟ أَليسَ لبناءِ «أورْخويَ» بهَذا الخشبِ الأصيلِ الّذي لا يَفنى، ورفعِ هياكلِها وقصورِها بدعائمِهِ الجبّارةِ؟

ـ تَقدَّمْ يا أَنْكيدو، تَقدَّمْ. وحَقِّ الإلَهِ شَمَّش لَن أُغادرَ هَذا المكانَ قبلَ أَن أَنالَ بُغْيَتي. فإمّا أَموتُ ويقالُ عَنّي: قَضى جِنْجامِشُ وَهُو يُصارِعُ ماردَ الأرزِ، وإمّا أَصرعُه وأَعودُ إلى «أورخويَ» حاملاً إلَيْها هَذهِ الثَّروةَ الّتي لا تُقدَّرُ بثمنٍ، وأُسجِّلُ اسمي معَ الخالدينَ.

وتَقدَّما بثباتٍ وعِنادٍ في الممرِّ المُفضي إلى عرينِ المارِدِ، وكانَ ممرّاً عريضاً طويلاً، تَحنو علَيهِ الأشجارُ وتَتعاقدُ بفُروعِها الطّيبةِ. إلّا أنَّ الهَولَ كانَ يَتربَّصُ بكلِّ مَن يَطأُ أرضَهُ وتُسوِّلُ له نفسُه سلوكَهُ.

وشعرَ الحارسُ الغائبُ عَنِ المكانِ بقُدومِهِما، وكانَ قد تَناهَتْ إلَيهِ مِن بعيدٍ ضَرَباتُ فأسَيْهِما على بَوّابتِهِ، فخالَها، أوّلَ الأمرِ، صوتَ الصُّخورِ الّتي كانَ يَقذِفُها سيِّدُه خِمْبابا إلى الوادي، لأنَّهُ كانَ يُوسِّعُ المكانَ حولَ مَسكَنِهِ. وحينَ لمحَ الحارسُ الصّديقَينِ

يَنتصبانِ بقامتيهِما الجبّارتَينِ عىى مَدخلِ العرينِ، هالَهُ منظرُهُما وبريقُ أسلحتِهِما الخاطفُ، فأخذَ يَصرُخُ مِنَ الذُّعرِ وهو يَتشمّمُ الأرضَ مثلَ ثورٍ وحشيٍّ، مُنذراً خِمْبابا بقُدومِ الدَّخيلَينِ. وما إن سَمعَ خِمْبابا استغاثةَ حارسِهِ حَتّى اندَفَعَ كالزّلزالِ المُدمِّرِ إلى عرينِهِ يَختبئُ فيهِ، وقَدْ تَوقّعَ خطراً داهماً يُهدِّدُ حياتَهُ، هو الّذي في حياتِهِ لَم يَأبَهْ لخَطرٍ ولَمْ يَخشَ بأسَ إنسانٍ.

ولَمْ يَكنْ خوفُ الصّديقَينِ بأقلَّ مِن خوفِ الماردِ خِمْبابا وحارسِهِ المذعورِ الّذي وَلّى الأدبارَ عَبْرَ أَرْوِقةِ الأرزِ الّتي لا نهايةَ لها. أمّا وقَدْ حَطّما بوّابةَ الجبلِ المقدَّسِ، ونَفّرا حارسَها، ووَقفا الآنَ عىى المَدخلِ المُفضي إلى عرينِ الماردِ، فلَمْ يَكنْ بالإمكانِ التّراجعُ، لا ولا التّفكيرُ فيهِ.

ومُجدَّداً عادَ السّكونُ المُطبِقُ، المحيِّرُ، الغادرُ، يَسعى إلَيهما ويُنذِرهُما بالشّرِّ. إلّا أنَّ جِلْجامِشَ شَهَرَ عالياً فأسَهُ وَأهوى بها بقوّةٍ وبأسٍ عىى أوّلِ شجرةِ أرزٍ عىى مَدخلِ الممرِّ المُفضي إلى عرينِ الماردِ خِمْبابا،

فهَوَتْ تحتَ ضَرَباتِهِ بصوتٍ أرجَفَ الماردَ في مَخبئِهِ وأثارَ حفيظَتَهُ. وهَل مِن إهانةٍ أكبرَ مِن هَذهِ تُوجَّهُ إلَيهِ، على مَسمعِهِ وبَصَرِهِ وعلى مَقرُبةٍ مِنهُ؟

وتَمملَ الماردُ في عرينِهِ، وزَمجرَ صوتُه كالرّعدِ:

ـ مَنِ الّذي انتهَكَ حُرمةَ غابي وقطعَ أرزتي؟

وخُيّلَ إلَيهِما أنَّ صوتاً مِنَ السّماءِ، كأنَّهُ صوتُ الإلهِ شَمَشَ الممجّدِ، يَتناهى إلَيهِما ويَقولُ:

ـ تَقدَّما ولا تَجزَعا.

ولكنَّهُما لَم يتقدّما، ولَمْ يَتراجعا أيضاً؛ بَل ظَلّا فترةً مِنَ الزّمانِ حِيالَ الأرزةِ المقطوعةِ، يَنظرانِ إلَيها بأسَفٍ عميقٍ كأنَّهُما أتَيا أمراً مُنكَراً، وعيونُهما لا تُفارقُ المَدخلَ، يَترقّبانِ ظهورَ الماردِ نافثِ اللّهَبِ بينَ آونةٍ وأُخرى. وطالَ انتظارُهما على هَذهِ الحالِ حَتّى أقبلَ اللّيلُ، وحَلَّ الملَلُ في قلبَيهِما محلَّ الخوفِ. وكانَ الجَهدُ والإعياءُ قَد أنهكا جِلْجامِشَ، فارتَمى على الأرضِ وقَدِ انتظمَهُ بَغتةً نومٌ عميقٌ. وعبَثاً راحَ أنْكيدو يُحاوِلُ إيقاظَهُ:

ـ إيهِ جِلْجامِشُ، إلى متى تَظلُّ نائماً هَكذا؟ لا تَدعْ يا صديقي الأمَ الّتي ولدَتْكَ تَستسلِمْ لليأسِ فتبكيَكَ وتَندُبَكَ في ساحةِ «أورْخويَ» العامّةِ.

قتلُ الماردِ خمْبابا

أفاقَ جِلْجامِشُ على نداءاتِ رفيقِهِ وتوسُّلاتِهِ المتكرّرةِ المُلِحّةِ، فأذهلَهُ السّكونُ الرّاني في المكانِ، ورؤيةُ أنْكيدو قاعداً قُبالتَهُ القُرفُصاءِ، وعَجِبَ لنفسِهِ كيفَ استسلمَ للنّومِ دونَما وَعيٍ مِنهُ وإرادةٍ، وعلى مَقرُبةٍ مِن عرينِ الماردِ، وكادَ لا يُصدِّقُ نفسَهُ:

ـ أصحيحٌ يا أنْكيدو أنّني نِمتُ كلَّ هَذا الوقتِ، وفي هذا المكانِ بالذّاتِ؟ اعذُرْني يا صديقي لأنّي عرّضْتُكَ ونَفسي للخطرِ... ولَكنْ كيفَ حدثَ هَذا كلُّه؟

ـ أنا أيضاً لا أعلمُ، لعلَّ للآلهةِ في هَذا قصداً...

ثُمَّ نهضَ جِلْجامِشُ استعداداً للقتالِ، وتدثّرَ ثوبِهِ المَعدِنيِّ الخفيفِ الّذي يُسمّى «دِرعَ الأبطالِ»، ولفَّهُ

جيّداً حولَ صَدرِهِ وجسمِهِ كلّهِ وقايةً مِن بَراثِنِ الماردِ حِمْبابا وأنيابِهِ الحادّةِ... ومِثلَهُ فعلَ أنْكيدو، ولكنْ بتردُّدٍ ظاهرٍ.

فقالَ جِلْجامِشُ وهو يُباعدُ بينَ قَدمَيهِ اللّتَينِ ثبّتَهما في الأرضِ، وهو يَصرِفُ بأسنانِهِ، ويُكرِّرُ القولَ ويُشدِّدُ علَيهِ كَي يَبُثَّ العزمَ في صديقِهِ:

ـ أَستحلِفُكَ يا أنْكيدو بحَياةِ أُمّي نِنْسونَ وأَبي لوكالْباندا، بأَن تَبقى معي حَتّى نَقتلَ هَذا الرَّجلَ، إذا كانَ حقّاً رَجلاً، أَو هَذا الإلَهَ أَوِ الوحشَ، إذا كانَ إلهاً أَو وحشاً حقّاً. فأُحقِّقُ بهذا أُمنيّتي، وأَظلُّ فَخراً للأمِّ الّتي ولدَتْني، كما كُنتُه يومَ رَعتْني في حِضنِها.

فأَجابَهُ أنْكيدو، الصّديقُ الوفيُّ، بالقولِ الّذي طالَما ردَّدَهُ على مَسمعِهِ:

ـ إيهِ سَيّدي ومَليكي، كَم وكَم حذَّرْتُكَ مِن هَذا المخلوقِ المتوحِّشِ... إنَّكَ لا تَعرفُه يا جِلْجامِشُ، لذا

البراثنُ مفردُها البُرثُنُ وهو من السّباع والطّير بمنزلة الإصبع من الإنسان

لا تَهابُه. أَمّا أنا الّذي رَبيتُ بينَ الوحوشِ فأعرفُه جيّداً، وكُلّما فكّرْتُ في هذه المغامرةِ الّتي نَقومُ بها ارتَعَشَتْ أَطرافي. إنَّ مجرّدَ ذكرِ اسمِهِ وحدَهُ يَبعثُ في قلبي الهَلَعَ. إنَّ نظرةً مِنهُ واحدةً لكفيلةٌ بأَن تُيبّسَ أشجارَ الغابِ وتُجفّفَ مِياهَ المستنقَعِ في آنٍ معاً. ويَحُزُّ في نَفسي، يا أعزَّ الأصدقاءِ، أن أترُكَكَ وَحدَكَ هُنا عُرضةً لشرِّهِ.

ـ تَترُكُني وَحدي؟ أَجادٌّ أنتَ في ما تَقولُ يا أنْكيدو؟ تَترُكُني وَحدي بعدَ أَن غامَرْنا الأهوالَ، وقَطعْنا المسافاتِ الشّاسعةَ، وحَطّمْنا بفؤوسِنا بَوّابةَ الأرزِ العظيمةَ، وصِرْنا على بابِ عرينِ الماردِ؟

ـ أَجلْ، لقَدْ وطَّنْتُ العزمَ على تَركِكَ في اللَّحظةِ الأخيرةِ. وباستطاعتِكَ أَن تَمكُثَ هُنا وَحدَكَ إذا شِئتَ، أَو أَن تُبارحَ المكانَ مِثلي على عَجلٍ، لأنَّني، في كلِّ هُنيهةٍ، أَتنسَّمُ الخطرَ الدّاهمَ وأَتوقَّعُ الهلاكَ المحتومَ. أَجلْ يا جِلْجامِشُ، لقَدْ عَزمْتُ على العَودةِ

إلى «أورْخويَ» بأيِّ حالٍ. وسوفَ أُخبرُ والدتَكَ عَن أَعمالِكَ البُطوليّةِ المجيدةِ لتُزغرِدَ لكَ مِنَ الفرحِ.

ـ تسخرُ مِنّي يا أَنْكيدو؟

ـ وبالتّأكيدِ سأقُصُّ مِنْ ثَمَّ عليْها كيفَ كانَ موتُكَ المجيدُ عَقبَ فتوحاتِكَ الباهرةِ، لتَبكيَكَ حَتّى تَجِفَّ الدّموعُ في عَيْنَيها.

ـ اسخرْ مِنّي ما طابَ لكَ أنْ تَسخرَ. ولَكنِ اعلَمْ أَنَّ ساعتي لَم تَحِنْ بعدُ حَتّى تُقدَّمَ مِن أحلى الذّبائحُ، وأنَّ قاربَ الموتِ لَن يَسيرَ بي نحوَ الأعماقِ. وإنَّ كَفَني لَن يُفصَّلَ منذُ الآنَ... بلى، يا صديقي، أنا أَعلمُ أنَّ الموتَ لا بدَّ مِنهُ إنْ آجلاً أَو عاجلاً؛ أَمّا الآنَ فأنا أَحْوَجُ ما أكونُ إلى زندِكَ يا رَبيبَ البراريِّ. مُدَّ لي يدَكَ لأمُدَّ لكَ يَدي، وما مِن قوّةٍ بعدَ هذا تَستطيعُ الوقوفَ أمامَنا نحنُ الاثنَينِ. ألا أبْعِدِ الخوفَ عَن قلبِكَ يا أَنْكيدو، وأَمسِكْ بفأسِكَ بقوّةٍ وبأسٍ، واهجُمْ معي، لأنَّ مَن لا يُحاربُ حَتّى النهايةِ يَفقِدُ النَّصرَ والسّلمَ معاً.

وما أَتَمَّ جِنْجامِشُ حديثَهُ حَتّى أَجفلَتْ غابةُ

الأرزِ المقدَّسةُ على زَمجرةِ الماردِ خمْبابا، وتَزلزَلَ الجبلُ تحتَ قدمَيهِ حينَ خرجَ مِن قصرِهِ المحصَّنِ المصنوعِ مِن خشبِ الأرزِ. وفي الممرِّ الطّويلِ تقدَّمَ ببُطءٍ واحتراسٍ. وحينَ أبصرَ جِلْجامِشَ مُنتصِباً أمامَهُ بقامتِهِ المديدةِ، سعى إلَيهِ سَعيَ الهَولِ وهُوَ يترنَّحُ مِنَ الغضبِ. ولوَّحَ له برأسِهِ مهدِّداً، وسمَّرَ في وجهِهِ عينَهُ، عينَ الموتِ. ولَمْ يَستطِعْ جِلْجامِشُ، مِنْ فَرطِ خوفِه، أن يُميِّزَ شكلَهُ، أإلَهٌ هو، أم بَشَرٌ، أَمْ حيَوانٌ مُفترِسٌ؟ وكادَ لرؤيتِهِ أن يَفقِدَ توازُنَهُ. وبكُلِّ جوارحِهِ راحَ يَبتهِلُ ضارعاً للإلَهِ شَمَش، يَطلبُ عونَهُ، ودموعُه تَنهمِلُ على وجهِهِ:

ـ يا إلَهي شَمَشَ، أيُّها الممجَّدُ بينَ الآلهةِ، لقَدْ سلكْتُ الطّريقَ الّتي أمرْتَني بسلوكِها. والآنَ كيفَ الخلاصُ مِن هَذا الوحشِ إن أنتَ قطعْتَ عنّي المَدَدَ؟ لقَدْ أَزِفَتِ السّاعةُ الرّهيبةُ، وها أناذا وَحدي، وصديقي

أزِفَتْ: اقتربَتْ.

أمامَ المخلوقِ الأقوى و**الأعتى** على وجهِ الأرضِ. ألا أعِنّي يا إلَهي بقوّةٍ مِن **لَدُنْكَ**.

وسمعَ الإلَهُ المجيدُ دُعاءَ جِنْجامِشَ اليائسِ، فإذا وجهُ السّماءِ يَكفهرُّ ويَتلبّدُ بغيومٍ قاتمةٍ محمّلةٍ بالبروقِ والرّعودِ، وإذا الرّياحُ الثّماني، حَبيسةُ الجبلِ، تَنطلقُ مِن **عِقالِها**. فاندفعَتْ جميعُها على غابِ الأرزِ تَسعى كالتّنانينِ، تَزحفُ كالنّيرانِ المُحرقةِ، كأَفاعيَ تُجمِّدُ القلبَ، كطوفانٍ مدمّرٍ وسِياطِ بروقٍ كثيرةٍ. وأحاطَتْ جميعُها بالماردِ خِمْبابا فعَصفَتْ في وجهِهِ وصفعَتْ عينَيهِ حَتّى أَعمَتْهُ وكَبّلَتْهُ مكانَهُ وشلّتْ حركَتَهُ.

وهتفَ به جِنْجامِشُ زاعِقاً وقَدْ وُهِبَ البأسَ والنّصرَ مِنَ السّماءِ:

ـ قَسَماً بِحياةِ أُمّي نَنْسونَ وحياةِ والدي لوكالْبانْدا، بِذِراعيَّ الضّعيفتَينِ وأَسلحتي الصّغيرةِ هَذهِ سأقتلُكَ يا

الأعتى: الأعظمُ جبَروتاً أي سُلطةً وقدرةً.
من لَدُنْك: من عندك. لَدُنْ: ظرفٌ مكانيٌّ مبنيٌّ دائماً على السّكونِ.
العِقالُ: حبلٌ يُربطُ به الجملُ من قائمتِه، وهو المقصودُ القيدُ



حِمْبابا وأَغزو قصرَكَ وأَنهبُ كنوزَكَ. وها إنّني أمامَ عينَيكَ أُحطِّمُ أرزَكَ المُتشامِخَ العنيدَ.

ورفعَ جِلْجامِشُ فأسَهُ في الهواءِ وأَهوى بها على أوّلِ أرزةٍ أَمامَهُ. وصاحَ الماردُ صيحةَ أَلمٍ عظيمةً، كأنّما هو الّذي تَلقّى تلكَ الضّربةَ الضّاريةَ. ودمعَتْ عَيناهُ لمّا رأى الأرزةَ العاليةَ تَسقطُ إلى الحضيضِ وتَتمرّغُ في التّرابِ.

وزادَ انزعاجُ حِمْبابا وتألُّمُه مِن عنادِ البطَلَينِ، فأَتبَعا الأرزةَ الأولى بسبعِ أرزاتٍ أُخَرٍ قَطعا غصونَها وجَمَعاها حُزَماً حُزَماً على سفحِ الجبلِ.

وعبثاً أَرغى الماردُ وأَزبدَ، وتَهدَّدَ وتَوعَّدَ بإحراقِ **الجانينَ** بلهيبِ نارِهِ. سبعَ مرّاتٍ رشقَهُما بلَهَبِهِ الصّاعقِ مِن غيرِ أن يَنالَهما بأذىً. ولمّا انطفأَ اللّهيبُ التّابعُ المنبعثُ مِن شِدقِهِ شَهِقَ شَهقةَ المغلوبِ على أمرِهِ، وذَلَفَ نحوَهُما شاحبَ الوجهِ مِثلَ ثورٍ وحشيٍّ مغلولٍ

الجانينَ: مفردُها الجاني وهو المجرمُ المُعتدي.

الأطرافِ، أوْ مُحاربٍ كُبِّلَ ساعِداهُ. وراحَ يتوسّلُ باكياً كطفلٍ:

ـ إيهِ جِلْجامِشُ، أيُّها الجبّارُ المرسَلُ مِن قِبَلِ الآلهةِ، دَعني أُخبِرْكَ عَن حقيقةِ أمري. أنا منذُ الصِّغرِ لَم أعرِفْ لي أُمّاً ولا أباً قطُّ. في هَذا الجبلِ وُلِدْتُ. هو الّذي عُنيَ بي، والإلَهُ أنْليلُ نفسُه جعلَني حارساً لغابِهِ... أَطلِقْ حرّيّتي يا جِلْجامِشُ أَكُنْ لكَ خادِماً وتَكُنْ لي سيّداً. وجميعُ أشجارِ هَذا الجبلِ أُقدّمُها لكَ مُلكاً أبديّاً، وبنَفسي أَقطعُها وأَبني لكَ مِنها قصراً يُطاولُ السّماءَ.

ورقَّ له قلبُ مَلِكِ «أوروكَ»، هو الّذي جاءَ ليَقتلَهُ ويَستأصلَ شرَّهُ مِنَ الوجودِ. ولكنّهُ حينَ لاحظَ استياءَ أنْكيدو مِن تَبدُّلِهِ الطّارئ بادرَهُ قائلاً:

ـ ألا يَتعيّنُ علَينا يا أنْكيدو أنْ نُطلِقَ العصفورَ الحبيسَ ليَعودَ إلى عُشّهِ، ونَفُكَّ أَسرَ السّجينِ ليَرتميَ بينَ دراعَي أُمّهِ؟

ـ لا يا جِلْجامِشُ، أجابَ أنْكيدو غاضباً. فلَئِنْ عادَ العصفورُ السّجينُ إلى عُشّهِ، والرّجلُ الأسيرُ إلى حُضنِ

أُمِّهِ، فَلَنْ تَعودَ أنتَ إلى «أورْخويَ» حيثُ تَنتظِرُكَ أُمُّكَ، ما لَم تَقضِ على هَذا الوحشِ **الزَّنيم**.

وسارعَ خِمْبابا إلى القولِ، وقَدْ تَوحَّسَ مِن أنْكيدو شرّاً:

ـ **بالإِفْكِ** تفوَّهْتَ يا أَنْكيدو... ما أنتَ إلّا رجلٌ مُرتزِقٌ يَعملُ لقاءَ خُبزِهِ. وإنَّما بداعي الحسَدِ والخوفِ مِنَ الخَصمِ نطقْتَ بهَذهِ الكَلماتِ الشّريرةِ.

وعادَ النّقاشُ يَحتدمُ بينَ الصّديقَينِ:

ـ لا تُصغِ إلى تَوَسُّلاتِهِ يا جِلْجامِشُ، يَجبُ أن يَموتَ خِمْبابا.

ـ ولَكنّي أَخشى إن نحنُ آذَيناهُ أَن **يُحيقَ** بالنّورِ الظّلامُ، ويُزايِلَ الوجودَ البهاءُ والمجدُ، وتَنطفِئَ أَشِعّتُهما إلى الأبدِ.

ـ كلّا يا صديقي، ليسَ الأمرُ كما تَزعَمُ. أَمسِكْ أوّلاً

الزّنيمُ: اللّئيمُ الدّعيُّ.
الإفْكُ: الكذبُ.
حاقَ بالشّيءِ: أحاطَ به.

العصفورَ، فإلى أينَ تَهربُ حينَ ذاكَ الفِراخُ؟ ستَهيمُ شاردةً بينَ الأعشابِ... ثُمَّ أَلَمْ تُقسِمْ بحياةِ والدَيكَ بأَن تُذيقَ خِمْبابا الموتَ؟ أَليسَ بسببِهِ تَرَكْتَ مملكتَكَ وتَجشَّمْتَ أهوالَ السّفرِ؟ أَتعطِفُ عليهِ عندَما يَهَبُكَ الإلهُ إيّاهُ فريسةً سهلةً؟ لا تَخدَعْكَ توسُّلاتُه! أَلا اقتُلْهُ يا جِلْجامِشُ، اقتُلْهُ قبلَ أَن يَنقلبَ عليكَ شرُّه.

وعَملَ جِلْجامِشُ بنصيحةِ صديقِهِ، فأَخذَ فأسَهُ بيَدٍ، وسلَّ سيفَهُ مِن قِرابِهِ وأَهوى بحدِّهِ البتّارِ على رَقَبةِ خِمْبابا. وضربَ أَنْكيدو الضَّربةَ التّاليةَ، وإثرَ الثّالثةِ ترنَّحَ خِمْبابا وسقطَ على الأرضِ بكاملِ مَجدِهِ وجَبَروتِهِ، فتَزلزلَ «حَرَمونُ» و«لبنانُ» معاً مِن هَولِ سَقطتِهِ، وعمَّ عالَمَ الأحياءِ الفسادُ والببةُ، لأنَّ الميتَ كانَ حارسَ الأرزِ الأمينَ.

ولمّا رأى الإلهُ أَنْليلُ خِمْبابا صريعاً يَتخبّطُ بدمائِهِ استبدَّتْ به ثَورةُ غضبٍ فصاحَ:

تجشّمْتَ: تكلّفْتَ وتحمّلْتَ.

- كيفَ أَقدمْتُما على هَذا الصّنيعِ البَشِعِ والفِعلةِ النّكراءِ؟ لتَحِلَّ النّارُ بعدَ اليومِ حيثُما حَلَلتُما، ولْتَلتهِمِ الخبزَ الّذي تأكلانِ، والماءَ الّذي تَشربانِ.

ومنذُ ذلكَ اليومِ استردَّ الإلهُ أَنْليلُ ثانيةً النّورَ والمجدَ المحسّدَينِ في خِمْبابا، وأَسبغَهُما على البَرابرةِ وسباعِ القَفرِ، وخَلعَهما على ابنةِ أَرْشَكيجالَ الشّرّيرةِ الشَّرِسةِ، حارسةِ العالَمِ السُّفليِّ.

أَمّا جِلجامِشُ، ذلكَ الثّورُ الوحشيُّ ونَهّابُ الجبلِ والبحرِ، وأَمّا صاحبُه أَنْكيدو، فقَدْ حرمَهُما الإلهُ أَنْليلُ مِن مَجدِهِ، لأنَّ له وحدَهُ المجدَ والعظمةَ إلى الأبدِ.

عشتارُ تعرضُ الزّواجَ على جلْجامش

وغزا حطّابو المُدنِ السّومريّةِ (أورَ، وأوزْحويَ، وأَريدو، وأَكادَ، وقيشَ، وشوروباكَ، وآدمًا، ولاغاشَ، ولارْسا، وماي) والقُرى والدّساكرِ المُحيطةِ بها، غابةَ الأرزِ في الجبلِ الفضّيِّ، وراحوا يُعمِلونَ الفؤوسَ في جذوعِها وأغصانِها طَوالَ السّنةِ، باستثناءِ فصلِ الشّتاءِ، لأنَّ تَراكُمَ الثّلوجِ كانَ يَسُدُّ أمامَهم مَسالكَ الغابةِ. وضجّتْ أَرجاءُ الجبلِ المقدّسِ بالأصواتِ الآمرةِ، ورنينِ المعدنِ، وليسَ مَن يُحرِّكُ ساكنًا، أَوْ يُحذِّرُ وينذِرُ، لأنَّ حارسَ الأرزِ ماتَ.

الدّساكرُ: مفردُها الدّسكرةُ وهي القريةُ العظيمةُ.

وتَدفّقَ الخشبُ السّليبُ على أسواقِ مدينةِ الإلَهِ أَنْليلَ، تَحمِلُه إلَيها الحميرُ والثّيرانُ والعُجولُ والبِغالُ والعبيدُ، عَبْرَ الجبالِ والأوديةِ والأَنهرِ والغاباتِ، وعَبْرَ السُّهوبِ الشّاسعاتِ. وارتفعَتْ في سماءِ المدينةِ المقدَّسةِ القصورُ **المُنيفةُ**، والهياكِلُ **السّامقةُ** الفَخمةُ تَبرُقُ أبراجُها الذّهبيّةُ والفِضّيّةُ، في الأصباحِ **والآصالِ**، تحتَ نورِ الشّمسِ، كأنَّما غابةُ الأرزِ برُمَّتِها اقتُلِعَتْ مِنَ الجذورِ وزُرِعَتْ على ضِفافِ «الفُراتِ» بكاملِ مَجدِها وجَلالِها. فتوافَدَ النّاسُ مِن كلِّ الأَقطارِ ليتأمَّموا أبهى العواصِمِ وأعظَمِها، ليَتأمّلوا «أورْخويَ» جِنْجامِشَ عاصمةَ أَقوى مَلِكٍ على الأرضِ، وأَجملِ مَلِكٍ، وأَحكمِ مَلِكٍ، حَتّى كادَتِ الآلهةُ نفسُها تَغارُ مِنهُ. ولَطالَما حَسَدَ الآلهةُ البشرَ وحاوَلوا الإيقاعَ بِهِم.

المُنيفةُ: المرتفعةُ المُشْرِفةُ.
السّامقةُ: العاليةُ الطّويلةُ.
الآصالُ: مفردُها الأصيلُ وهُوَ الوقتُ بينَ العصرِ والمَغربِ.

غيرَ أنَّ إلاهةً واحدةً، بينَ سائرِ الآلهةِ والآلهاتِ، راعَها بَهاءُ جِلْجامِشَ وعظَمةُ مدينتِهِ، تِلكَ هي الرّبّةُ عِشْتارُ.

وبينَما جِلْجامِشُ، ذاتَ يومٍ، يَرفُلُ بالحُلّةِ المَلكيّةِ المتألّقةِ، وعلى رأسِهِ تاجُه المجيدُ، وقدْ تَدلَّتْ على كَتفَيهِ خُصُلاتُ شَعرِهِ الفاحمِ الطّويلِ، إذا بربّةِ الحُسنِ والجَمالِ تَدخلُ علَيهِ بكاملِ زينتِها، والعطرُ يَتضوَّعُ مِن جسمِها المضمَّخِ بالطّيبِ:

ـ عرفتَني يا جِلْجامِشُ؟

ـ وهَل جَمالُ الرّبّةِ عِشْتارَ يَخفى على الأنظارِ؟

ـ وعَرفْتَ القصدَ مِن مجيئي إلَيكَ؟

وإذْ لاحظَ إسرافَها في التّبرُّجِ والزّينةِ عَرفَ كلَّ شيءٍ، لَكنَّهُ تَظاهرَ بالجهلِ:

ـ لا...

ـ بَلى عَرفْتَ. حَسَنٌ يا جِلْجامِشُ. جِئتُ أَعرِضُ علَيكَ الحُبَّ والزّواجَ.

رَفَلَ: جرَّ ثوبَهُ وَتبَختر.



ـ آلخالدونَ يَعرِضونَ الحُبَّ على الفانينَ؟

ـ أُريدُ أَن أَفنى بِحُبِّكَ لأُحدِّدَكَ. هَبْني رجولتَكَ يا جِلْجامِشُ أَهَبْكَ الخُلودَ.

ـ ولَكِنّي أَخشى، إن فعلْتُ، أَنْ يَتسرَّبَ إلَيكِ مِنّي الفناءُ.

ـ إذنْ أنتَ لا تُحبُّني.

وتَردَّدَ جِلْجامِشُ قيلاً، ثُمَّ قالَ في ذاتِ نفسِهِ:

ـ لأَنّي أَخشى حُبَّكِ يا عِشْتارُ.

ثُمَّ أَرْدفَ عالياً ومُمتحِناً بقَصدِ الوقوفِ على نِيّاتِها:

ـ ماذا تَهَبينَني أيضاً إن أنا اتَّخذتُكِ زوجةً؟

فأجابَتْ عِشْتارُ وقَدِ انتظمَتْها فرحةٌ طاغيةٌ:

ـ كُن لي زَوجاً أَمنحْكَ جَمالي وحُبّي... أَظلَّ زَوجةً وفيّةً لكَ مَدى الحياةِ.

ـ زَوجةٌ وفيّةٌ!؟

قالَ هَذا ساخراً بينَهُ وبينَ نفسِهِ.

وتابعَتْ سَكرى بجَمالِهِ ورُجولتِهِ، عمياءَ بحُبِّها:

ـ سأُعِدُّ لكَ عربةً لا مثيلَ لها بإتقانِ الصَّنعةِ والجَمالِ، عربةً بقُرونٍ مِنَ البرونْزِ، وعَجَلاتٍ مِنَ الذَّهَبِ مرصَّعَةٍ **باللّازَوَرْدِ**، يَجرُّها، بدلَ البغالِ **المُترهّلةِ**، شياطينُ العاصفةِ الأشدّاءُ الأقوياءُ. أمّا عُشُّنا يا جِلْجامِشُ فسأُعِدُّه مِنَ الخشبِ **الأثيرِ** لدَيكَ؛ مِن خشبِ الأرزِ سأَصنعُه وأزرعُه حُبّاً؛ حتّى إذا دَخلتَهُ تَضوَّعَ **بالنّاردينِ**، فأقبلَ الملوكُ والحكّامُ والأفرادُ ليُقدِّموا لكَ **الإتاوةَ** مِن غِلالِ جبالِهِم وسهولِهِم. وسأَجعلُ نِعاجَكَ تَحملُ التّوائمَ، وحميرَكَ تفوقُ البغالَ بالأحمالِ. ولَن يكونَ لثيرانِكَ مِن قرائنَ، وتُطبّقُ شُهرةُ خيلِ مَركباتِكَ الآفاقَ بسُرعتِها.

فأجابَ جِلْجامِشُ عِشْتارَ المَجيدةَ قائلاً:

اللّازَوَرْدُ: معدنٌ تُصنعُ منه الحُليُّ وأفضلُ أنواعه الشّفافُ الأزرقُ على حُمرةٍ وخُضرةٍ.
المترهّلةُ: الّتي استرخى لحمُها كنايةً عن أنّها أصبحتْ ضعيفةً مهزولةً.
الأثيرُ: المفضَّلُ.
النّاردينُ: نباتٌ طيّبُ الرّائحة.
الإتاوةُ: الضّريبةُ أو المالُ الّذي يُفرضُ على الأرضِ المُغِلّة.

ـ ولَكنْ أيَّ الهدايا أُقدِّمُ أنا لكِ مُقابلَ كلِّ هَذا؟ ما عَساني أُعِدُّ مِن أطيابٍ وثيابٍ لكِ؟ وأيَّ المآكلِ أَضعُ على مائدتِكِ؟ كيفَ لي أَن أُعطيَ طعاماً لإلاهةٍ، وشراباً لمَليكةِ السّماءِ؟

ـ لا تَسخَرْ منّي يا جِلْجامِشُ. أَصْدِقْني القولَ، أَتحبُّني أَم لا؟ أَتريدُني زوجةً لكَ؟

ـ لا يا عِشْتارُ، أنا لا أُحبُّكِ، ولا أُريدُكِ زَوجةً.

وشعرَتْ ربّةُ الجَمالِ لأوّلِ مرّةٍ في حياتِها أنّها تُطعَنُ في كرامتِها وكبريائِها. أَتكونُ هي الإلاهةَ البادئةَ بعَرضِ الحُبِّ على إنسانٍ فانٍ ويردُّ طلبَها؟ ويَرفُضُه بهذِهِ **الصَّفاقةِ** والجُرأةِ؟ بهَذِهِ الصّراحةِ والوَقاحةِ؟ لَكنّها تَمالكَتْ، وقالَتْ بغُصّةٍ، وقَدْ شَحُبَ وجهُها شحوباً مُخيفاً:

ـ أَلستُ جديرةً بكَ يا جِلْجامِشُ؟ بماذا تُعيِّرُني يا ناكرَ الجميلِ؟

الصَّفاقةُ: الوقاحةُ.

وهَدرَ صوتُ جِلْجامِشَ في أُذنَيها هديرَ الرّعدِ:

ـ بماذا أُعيِّرُكِ؟ وهَل فيكِ خَصلةٌ كريمةٌ تَتباهَيْنَ بها؟ يا لَلعارِ يا عِشْتارُ، يا ويلَ مُحبّيكِ مِنكِ!

وقالت زاعقةً مخنوقةً، وهِي تَكادُ تَنتِفُ شَعرَها وتُمزِّقُ جِلدَها للإهانةِ:

ـ يا ويلَ محبِّيَّ مِنّي؟ ماذا تَظنُّني كُنتُ لهُم أيُّها المَلِكُ الصَّلِفُ؟

ـ كُنتِ لَجميعِهِم جمراً تحتَ رمادٍ، باباً خارجيّاً لا يَصُدُّ ريحاً ولا عاصِفةً، قَصراً يَسحقُ حاميَتَهُ. كُنتِ لهُم دلواً مثقوباً يُبِلُّ حامِلَهُ؛ كُنتِ حَجراً ساقطاً مِن إفريزٍ، حذاءً يَتعثَّرُ به مُنتعِلُه، آلةً غدّارةً مُعتديةً تُركَت في أرضِ العدوِّ.

ـ اللَّعنةُ عليكَ يا جِلْجامِشُ!

ـ أنا لَم أُنْهِ كلامي بعدُ. أَخبريني مَن مِن مُحبّيكِ أَخلصْتِ له الحُبَّ حَتّى النّهايةِ؟ أصغي إليَّ لأَقُصَّ

الصَّلِفُ: المتكبِّرُ المعجَبُ بنفسِه.

مآسيَهم: تَمّوزُ حبيبُ صِباكِ الّذي أقَمْتِ علَيهِ النَّدبَ والنُّواحَ عامًا إثرَ عامٍ، هَل بَقيتِ على حُبِّهِ؟ عَشقْتِ بعدَهُ طائرَ **الشِّقِرّاقِ** المتعدِّدَ الألوانِ، ولَمْ تَلبَثي أَن كسرْتِ جَناحَيهِ، وها هو الآنَ واقعٌ في البُستانِ يَصرُخُ باكياً: «جَناحي، جَناحي!». ثُمَّ هِمتِ بالأسدِ الهائلِ القوّةِ، وعُدتِ فحفَرْتِ سبعةَ فِخاخٍ للإيقاعِ به. وأُغرِمْتِ بالحصانِ المُبرِّزِ في القتالِ، لَكنّكِ أَعدَدْتِ له السَّوطَ والمِهمازَ والعِنانَ، وأكرَهْتِهِ على الجَري سبعةَ أشواطٍ والشُّربِ مِنَ الماءِ العَكِرِ، حتّى جَعلْتِ أُمَّهُ سِليليَ تُعوِلُ عَلَيْهِ وتَنوحُ. وأَحببْتِ راعيَ القطيعِ فصَنَعَ لكِ الخبزَ ونَحرَ الجِداءَ كلَّ يومٍ، **فسُمْتِهِ** العذابَ حتّى طَرَدَهُ مُعاونُه مِن منزلِهِ ومزّقَتْ كلابُه جنبَيهِ. ثُمَّ أَلَمْ تَهوَيْ إيشو لانو بُستانيَّ والدِكِ الّذي كانَ يأتيكِ دائماً بِسلالٍ مَلْأى بالثّمارِ، ويَجعلُ مائدتَكِ تَميدُ بالأطعمةِ الشّهيّةِ؟ رَنَوْتِ إلَيهِ ذاتَ يومٍ وقُلتِ له:

الشُّقِرّاقُ: طائرٌ أكبرُ من الحمامِ يعرفُ عند العامّةِ بالشُّقْرُقِ.

سامَ فلاناً الأمرَ: كلّفه إيّاهُ وحمّلهُ

«اقتربْ منّي أيُّها المحبوبُ إيشو لانو ودَعْني أَتمتَّعْ بجمالِ رجولتِكَ، تعالَ، فأنتَ لي، وأنا لكَ». غيرَ أنّكِ مَسَخْتِهِ خُلْداً يَعيشُ في باطنِ الأرضِ! أَلَن يَكونَ مصيري يا عِشتارُ ككلِّ الّذينَ أَحببْتِ، إنْ أنا غامرْتُ وتَزوّجْتُكِ؟

وجُنَّ حنونُ الرّبّةِ عِشْتارَ، فهرعَتْ إلى أبيها آنو وأُمِّها أَنْتومَ في السّماءِ تَبُثُّ لهُما شَكواها:

- إي والديَّ! إنَّ جِلْجامِشَ أهانَني وتَناولَ سيرتي بأَسوأِ النُّعوتِ وأَقبحِها!

ورَدَّ علَيها آنو قائلاً:

- أنتِ السّببُ في هذا، لأنّكِ تحرّشْتِ به وأَثَرْتِهِ!

وقالَتْ عِشْتارُ ثائرةً مهدِّدةً:

- أبتاهُ أرجو منكَ أَن تسلّطَ علَيهِ ثورَ السّماءِ ليُهلكَهُ، أَو انفُخْ فيه روحَ الصَّلَفِ والكبرياءِ ليُدمِّرَ نفسَهُ بنفسِهِ، وإلّا حَطّمْتُ بابَ الهاويةِ وكَسرْتُ أقفالَها، وشرّعْتُ أبوابَ الجحيمِ على مَصاريعِها، وبعثْتُ المَوتى ليُشاركوا الأحياءَ في طعامِهِم، فتَعُمُّ المجاعةُ في الأرضِ.

ـ حَسنٌ يا بنيّتي، أجابَ آنو خائفاً مِن تهديدِ ابنتِهِ؛ لَكنّي أَخشى إن أنا فَعلْتُ بحسَبِ رَغبتِكَ أَن تَحِلَّ في البلادِ سبعُ سنينَ مِن المَحلِ والجفافِ، فتيبَسَ السّنابلُ على سيقانِها وتَفرغَ مِنَ الحبوبِ. فهَلّا تجمَعينَ غلالاً تكفي الشّعبَ، وعلفاً للماشيةِ؟

وأجابَتْ عِشتارُ:

ـ جَمعْتَ كَفافَ الشّعبِ والماشيةِ لمدّةِ سبعِ سنينَ، والآنَ هيّا نفِّذْ رَغبتي، لأنَّ مَلكَ «أورْخويَ» حاوزَ الحدَّ بكبريائِهِ، وهُو الوحيدُ بينَ المائتينَ الّذي تَجرّأَ على إهانتي.

وأَذعنَ الإلهُ آنو لرَغبةِ عِشتارَ ورَضخَ لتهديدِها، فأَسلمَ إلَيها رِمامَ الثّورِ السّماويِّ، فأطلَقَتْهُ يَعيثُ في الأرضِ الدّمارَ والموتَ؛ فقَتلَ في حملتِهِ الأولى سِتَّ مئةِ رَجلٍ، وفي هجومِهِ الثّاني صَرعَ المئاتِ، وفي الثّالثِ كَرَّ على أَنكيدو يُريدُ تمزيقَهُ، فتَفادى مِنهُ بسرعةِ البرقِ ووَثَبَ عليهِ فأَمسكَهُ مِن قرنَيهِ. وأَرغى

المَحلُ: الجدبُ، انقطاعُ المطرِ ويَبَسُ الأرضِ.

ثورُ السّماءِ ورَشقَ وجهَ أَنْكيدو بزَبَدِهِ، **وساطَهُ** بذَيلِهِ القاسي.

وهَتفَ أَنْكيدو بِجِلْجامِشَ مُهيباً به، وهُو ما زالَ مُمسِكاً بقرنَي الثّورِ:

ـ لقَدْ آنَ لنا يا صديقي أَن نُخلِّفَ وراءَنا اسمَينِ خالدَينِ. هَذهِ هي الفُرصةُ الّتي طالَما انتظَرْناها. فهَيّا اغرِزْ سيفَكَ عميقاً بينَ سَنامِ الثّورِ وقَرنَيهِ.

ومثلَ الصّاعقةِ انقَضَّ جِلْجامِشُ على ثورِ السّماءِ، وأَغمدَ سيفَهُ بينَ سَنامِهِ وقَرنَيهِ، فسقطَ على الأرضِ سقوطَ الجبلِ. فتدافعَ الصّديقانِ عليهِ وانتزَعا قلبَهُ مِن صدرِهِ وقَدّماهُ قرباناً للإلَهِ شَمَّشَ...

وسُرَّ الإلَهُ بِالتَّقدمةِ **الذّكيّةِ**. غيرَ أنَّ عِشتارَ، حينَ رأَتْ ثورَ السّماءِ ممرّغاً بدمائِهِ، مَبقورَ الصّدرِ، سليبَ القلبِ، تسنَّمَتْ سورَ «أورْخويَ» العظيمَ. فقفزَتْ مِنهُ إلى بُرجِها السّامقِ، وأَخذَتْ مِن هُنالِكَ تقذِفُ

ساطَهُ: ضربَهُ بالسّوط

الذَكيّةُ: الذّبيحةُ



جِلْجامِشَ بوابِلٍ مِنَ اللَّعَناتِ والسِّبابِ، بسببِ العارِ الّذي أُلحقَ بها. ولمّا سَمعَها أَنْكيدو انتزعَ فَخِذَ الثَّورِ اليُمنى وقذفَ بها في وجهِ عِشتارَ وقالَ:

ـ لَو كانَ بمَيسوري أن أَقبِضَ علَيكِ لرَبطْتُ أحشاءَ هَذا الثّورِ بأطرافِكِ. أَجَل، هَذا ما كُنتُ سأَفعلُه بكِ.

واستشاطَتْ عِشْتارُ غضباً، فجَمعَتْ حَولَها حاشيَتَها مِنَ الرّاقصاتِ والقِيانِ وأقامَتْ مَناحةً حولَ فَخِذِ ثور السّماءِ...

أَمّا جِلْجامِشُ فإنَّهُ دعا الأبطالَ، وصانِعي الأسلحةِ، وأصحابَ الحِرَفِ جميعاً، ليَتأَمّلوا الثّورَ الصّريعَ، فتَقاطَرَتِ المدينةُ بأسرِها عليهِ، وذُهلَ النّاسُ لضخامةِ قَرنَيِ الثّورِ المغلَّفَين باللّازَوَرْدِ، وكانَ كلُّ واحدٍ يَزنُ ثلاثينَ رطلاً وَيَسَعُ ثلاثَ كَيلاتٍ مِنَ الزّيتِ. وطَفِقَتِ النِّساءُ يَرقُصْنَ ويُزغرِدْنَ مِنَ الفرحِ.

استشاطَ واشْتاطَ: التَهبَ غيظاً.
القِيانُ: مفردُها القَينةُ وهيَ المغنّيةُ.

فخاطبَ جِلْجامِشُ المُغنّيات وقَدِ استبدَّتْ به نَشوةُ الظَّفرِ:

ـ مَنِ الأَمْجدُ بينَ الأبطالِ؟ مَنِ الأَعظَمُ بينَ الرِّجالِ؟

وهَتَفْنَ بصوتٍ واحدٍ:

ـ جِلْجامِشُ هو الأَمجدُ بينَ الرِّجالِ، جِلْجامِشُ هو الأَعظمُ بينَ الأبطالِ.

ثُمَّ انطلَقَ الصّديقانِ إلى نهرِ «الفُراتِ» وغَسلا أَيديَهُما الملطَّخةَ بدماءِ الثّورِ. وقامَ جِلْجامِشُ وقدَّمَ لوالدِهِ وحاميهِ الإلَهِ لوكالْبَنْدا ثلاثَ كَيْلاتٍ مِنَ الزّيتِ بِقَرنَيِ الثّورِ... ثُمَّ حَملَ هو وصديقُه القَرنَينِ إلى قصرِهِ وعلَّقَهُما على الحائطِ تخليداً لِذكرى انتصارِهِ.

وكانَ في ذلكَ اليومِ عيدٌ كبيرٌ في قصرِ المَلكِ، واحتفالاتٌ في سائرِ أرجاءِ مملكتِهِ ضجّتْ لها السّماءُ.

وفي اللّيلِ رأى أَنْكيدو حُلماً أيقظَهُ، فراحَ في الصّباحِ يَقُصُّه على جِلْجامِشَ:

ـ أوّاهُ يا سيّدي، أيُّ حُلمٍ هَذا الّذي رأيْتُ البارحةَ؟!
لقَدْ كانَ جميعُ الآلهةِ مُجتمعينَ في مجلِسٍ واحدٍ ويَتداولونَ في أمري. كانَ هُناكَ آنو، وأَنْليلُ، وآيا، وشَمَّشُ... وسَمعْتُ آنو يَقولُ لأَنْليلَ:
ـ حَتْمٌ أَن يَموتَ أحدُهما لأنَّهُما قَتلا ثورَ السّماءِ وخِمْبابا حارسَ الأرزِ... ولْيَكُنْ هَذا الّذي انتَهكَ حُرمةَ الغابةِ المقدّسةِ، وسرقَ الأَرزَ.
فأجابَ أَنْليلُ:
ـ كلاّ، بَل يَجبُ أَن يَموتَ أَنْكيدو وحدَهُ.
وتَدخّلَ شَمَّشُ المجيدُ:
ـ إنّهُما بإيعازٍ مِنّي وبمساعَدتي قَتلا ثورَ السّماءِ والماردَ خِمْبابا. فكيفَ تُريدُ أَن يَموتَ أَنْكيدو وهُوَ بَريءٌ؟
وغَضبَ أَنْليلُ على الإلهِ شَمَّشَ لتَدخُّلِهِ:
ـ لأنّكَ كُنتَ تَتردَّدُ عليهِما كُلَّ يومٍ كواحِدٍ مِنهُما، فلِهَذا تَقولُ ما تَقولُ. وأَنا أَقولُ: يَجبُ أَن يَموتَ أَنْكيدو...

مَوتُ أَنْكيدو

وصَدقَ حُلمُ أَنْكيدو... إذْ ما لَبِثَ أَن مرِضَ بعدَ أيّامٍ، وحينَ عادَهُ صديقُه جِلْجامِشُ تَهاوى على قَدمَيهِ، وانهمرَتْ دموعُه على خدَّيهِ الذّابلَينِ. فخاطبَهُ جِلْجامِشُ قائلاً:

ـ إي أَخي وصديقي، لماذا أُبرَّأُ أنا، وتُؤخَذُ أنتَ؟ أَحتْمٌ عليَّ أن أقفَ خارجاً على بابِ الأرواحِ، بأمرٍ مِن شبحِ الموتِ، ولا أَرى أخي مرّةً ثانيةً؟ أَصحيحٌ أنَّني لَن أَراكَ بعدُ يا أَنْكيدو؟

وراحَتْ دموعُ جِلْجامِشَ تَتدفَّقُ مِن عينَيهِ... وأَخذَ أَنْكيدو، وهُو يَتقلّبُ على فراشِ المرضِ، يَلعنُ «بَوّابةَ الأرزِ» الّتي حطَّمَها بفأسِهِ، ويُخاطبُها كما لَو كانَتْ شخصاً مِن لحمٍ ودمٍ:

ـ إي بوّابةَ الأرزِ الخدّاعةَ!.. ظَهرْتِ لي في أوّلِ ما ظَهرْتِ خشباً عاديّاً، فأُخذتُ بمَرآكِ مِن بعيدٍ، قبلَ أَن أُشاهدَ الأرزَ العظيمَ. في مُنتهى الكمالِ والإتقانِ كانَ صُنعُكِ... في «نيبور»، مدينةِ الإلَهِ أَنْليلَ، كانَ صُنعُكِ، ولَكنْ آهِ لَو علمْتُ بالنّتائجِ قبلَ أَن أُقدِمَ على عَملي الطّائشِ وأُحطِّمَكِ!.. لَو علمْتُ أَنَّ انتِهاكَ حُرمتِكِ، أيّتُها البَوّابةُ المقدَّسةُ، سيكلِّفُني الحياةَ، ما رفعْتُ فأسي في وجهِكِ، لا بَل ما مَسسْتُكِ حَتّى بخدشٍ!

ثُمَّ طَفِقَ أَنْكيدو يَصبُّ لَعَناتِهِ على الصّيّادِ والمرأةِ اللّذَينِ انتزَعاهُ مِنَ الغابِ وقاداهُ إلى المدينةِ:

ـ ملعونٌ ناصبُ الفِخاخِ الّذي أَوقعَ بي!.. لا وَقَعَ صيدٌ في شباكِهِ، ولا حُقِّقَتْ رغبةُ قلبِهِ! وأنتِ أيّتُها المرأةُ الّتي أَوصلْتِني إلى هَذهِ النّتيجةِ، علَيكِ كُبرى لَعَناتي!.. لِيَكُنِ الشّارعُ مأواكِ، وَلْيَلْطِمْ خدَّكِ كلُّ عابرِ سبيلٍ، وَلْتموتي بسببٍ مِن **إسرافِكِ** و**تبذُّلِكِ**!...

الإسرافُ: مجاوزةُ الحدِّ والإفراطُ في الأمرِ.
التّبذُّلُ: تَرْكُ الاحتشامِ والتّصوُّنِ.

ونادى الإلهُ شَمَّشُ أَنْكيدو حينَ سَمعَ شَكواهُ:

- إيهِ أَنْكيدو، عَلامَ تَلعنُ المرأةَ الّتي علّمَتْكَ شُربَ الخمرِ وأكلَ الخُبزِ الّذي يَليقُ بالآلهةِ، ودَثَّرتْكَ **بقَشيبِ** اللّباسِ؟ ثُمّ لماذا **التّبرُّمُ** بالحياةِ وقَدْ وَهبَتْكَ الآلهةُ صديقاً مجيداً هو جِلْجامِشُ، فاتَّخذَكَ له **خِدناً** **وخِلّاً** حَميماً، لا بَل أخاً عزيزاً؟ هَذا الصّديقُ الّذي أَجلسَكَ على سريرِ مُلكِهِ، وجعلَكَ تَتربّعُ في عربةٍ على يَسارِهِ، فصارَ ملوكُ الأرضِ يُقبِّلونَ يدَكَ بعدَ أَن كُنتَ تَفترشُ الأرضَ وتَعيشُ معَ الحيواناتِ... ثُمّ انظُرِ الآنَ، فها هو شعبُ «أورْخويَ» بأَسرِهِ يَبكيكَ ويَندُبُكَ. وغداً، عندَما تَموتُ، سيُرسِلُ جِلْجامِشُ المَلكُ العظيمُ شَعرَهْ، ويَلبَسُ جِلدَ الأسدِ، ويَهيمُ على وَجهِهِ في القَفرِ حُزناً عليكَ.

وحينَ سَمعَ أَنْكيدو أَقوالَ شَمَّشَ المَجيدِ، هَدأَ

القَشيبُ: الجديدُ والنّظيفُ.

التّبرُّمُ: التّضجُّرُ.

الخِدنُ: الحَبيبُ والصّاحِبُ.

الخِلُّ: الصّديقُ الوَدودُ.

حُزنُه، ونَدِمَ لأَنَّهُ لعنَ المرأةَ، فعادَ يُطريها ويَدعو لها بالخيرِ:

- بورِكْتِ أيّتها المرأةُ، وسلِمْتِ مِن كلِّ أذىً!.. لِيُحبَّكِ الملوكُ والأمراءُ والأَشرافُ، وَلْتَمتلِئْ حُجْرَتُكَ المُحصَّنةُ بالحجارةِ الكريمةِ والذَّهبِ.

ونامَ أَنْكيدو تِلكَ اللّيلةَ قَريرَ العينِ، مُستسلماً لدائِهِ باطمئنانٍ، لأنَّهُ طَردَ الحِقدَ عَن قلبِهِ، وقَبِلَ مَصيرَهُ بصَبرٍ وجَلَدٍ... وفي موهِنٍ مِنَ اللّيلِ رأى هَذا الحُلمَ العجيبَ:

كانَتِ السّماءُ فَوقَهُ تَئِنُّ وتَتفجَّعُ، والأرضُ مِن تحتِهِ تُجيبُ، ورأى نفسَهُ يَقفُ وحدَهُ أمامَ مخلوقٍ مُرعبٍ مُخيفٍ. كانَ وجهُ هَذا المخلوقِ متجهِّماً كالحاً كطائرِ العاصفةِ **الأَسحمِ**. ومِثلَ الطّائرِ انقضَّ علَيهِ واختطفَهُ بمَخالبِهِ الشريّةِ، وأَخذَ يُطوِّحُ بِه في الهواءِ ويُطوِّحُ حَتّى كادَ يَحنُقُه. ثُمَّ ساقَهُ إلى مكانٍ بعيدٍ بعيدٍ، إلى قصرِ

الأسحمُ: الأسودُ

إيرْقَلَّهَ مَلكِ الظّلامِ، تِلكَ الدّارِ الّتي ما مِن أحدٍ وَلَجَها وعادَ مِنها، وكانَتْ تَستقرُّ في أَعماقِ الظُّلماتِ... وهالَهُ ما رأى: ثَمَّةَ كانَتِ الدّارُ الّتي لا يُبارِحُها نُزلاؤُها إلى الأبدِ، وأَبَدَ الدّهرِ يَتسكّعونَ في الظّلامِ ويَقْتاتونَ بالتّرابِ والطّينِ، ومثلَ الطّيورِ يَكْتسونَ بالرّيشِ أَغطيةً لهُم... وما إن تَوَغَّلَ فيها قليلاً حَتّى شاهَدَ، ويا لَهَولِ ما شاهَدَ! شاهَدَ ملوكَ الأرضِ وقَدِ اختلطوا بالصّعاليكِ، وانتُزِعَتْ عَن رؤوسِهِم تيجانُهُم المَجيدةُ، وكانَ هُناكَ الحكّامُ والأُمراءُ، وكلُّ أولَئكَ الّذينَ تربّعوا على سُدّةِ الحُكمِ، وسادوا العالَمَ في أيّامٍ مضَتْ وانقضَتْ...

أمّا أولَئكَ الّذين جلَسوا على عروشِ الآلهةِ، مثلُ آنو وأَنْليلَ، فرَآهُم أَنْكيدو في حالةٍ زَرِيّةٍ حقيرةٍ يُرثى لها: لَقَدْ رآهُم بأسمالِ الخَدَمِ وهُم يَنقُلونَ المياهَ الباردةَ بالدِّلاءِ الجِلديّةِ... وفي رُواقٍ مُظلمٍ آخَرَ رأى الكهنةَ الكبارَ، والشّمامِسةَ، وجَوقاتِ المُرتّلينَ، وخُدّامَ

الزّريُّ: الذّميمُ الحقيرُ الّذي لا يُعَدُّ شيئاً.
الأَسمالُ: مفردُها السّمِلُ وهُو الثّوبُ الخَلَقُ البالي.

الهياكلِ، وإيتانا مَلكَ «فيشَ» الّذي طارَ به النّسرُ في الأَزمنةِ الخَوالي إلى السّماءِ، ورأى أيضاً سموقانَ إلهَ الماشيةِ، و«أرْشكيجالَ» مَلكةَ العالمِ السُّفليِّ، وقَدْ جَلسَتْ قُبالَتَها القُرْفُصاءَ بَعْلةُ شري قَهْرمانةُ الآلهةُ والقيّمةُ على سِجلاّتِها، وكانَتْ تَحملُ لَوحاً تَقرأُ فيه. فرَفعَتْ رأسَها ورأَتْ أَنْكيدو فخاطبَتْهُ قائلةً:

ـ مَن دا الّذي أَتى بهَذا الإنسانِ إلى هَذا المَكانِ؟

وأَجفلَ أَنْكيدو على هَذا الصّوتِ المُباغِتِ، واستيقظَ مِن نَومِهِ مثلَ رَجلٍ كادَ دمُه، دونَما وَعيٍ مِنهُ، يَنزِفُ حَتّى آخِرِ قَطرةٍ. وقصَّ حُلمَهُ هَذا على جِلْجامِشَ ورَجا مِنْهُ أَن يَتّخذَ أميراً آخَرَ سِواهُ رفيقاً له بعدَ موتِهِ.

كانَ جِلْجامِشُ، وهُو يَستمعُ إليهِ، يَبكي بدموعٍ غزيرةٍ، ثُمّ توقّفَ وقالَ لأَنْكيدو المُشرِفِ على الموتِ:

ـ رائعاً كانَ الحُلمُ الّذي رأيْتَ يا صديقي، ولَكنَّ

البَعلةُ. الزّوجةُ.



هولَهُ كانَ أعظَمَ. ومعَ هذا علَينا أن نتَقبّلَ عَواقبهُ. إنَّ حُلمَكَ يا أنْكيدو أبانَ أنَّ الشّقاءَ مدرِكٌ، في نهايةِ الأمرِ، الرَّجلَ مَهما كانَ قويّاً، وأنَّ الحُزنَ هو خاتمةُ الحياةِ. والآن سوفَ أضرَعُ للآلهةِ الكُبرى، لأنَّ صديقي قد رأى حُلماً مُنذِراً بالويلِ.

واستَسلمَ أنْكيدو بعدَ هَذا الحلمِ إلى آلامِهِ المبرِّحةِ، ولازمَ فراشَهُ يوماً كاملاً. إلّا أنَّ آلامَهُ ما فَتئَتْ تَزدادُ ضَراوةً كلَّ ساعةٍ، حَتّى اليومِ الثّانيَ عَشَرَ. وعِندئذٍ شعرَ بأنَّ ساعةَ موتِهِ قَد أَتتْ، فَطَلَبَ أَنْ يُوافيَهُ صديقُه جِلْجامِشُ. وحينَ جاءَ، قالَ له:

ـ إي صديقي، إنَّ كبيرَ الآلهةِ لَعَنني وحَكَم عليَّ بأن أموتَ مُحلَّلاً بالعارِ عى فراشٍ! أوّاهُ يا جِلْجامِشُ، كَم كُنتُ أَخشى هَذا السّقوطَ، وكَم هو سعيدٌ الرَّجلُ الّذي يَسقطُ كبطلٍ في ساحةِ القتالِ! أمّا أنا فقَدَري أَن أموتَ في الهَوانِ والذُّلِّ. ولِذا أَستحلِفُكَ بأُمِّكَ نَنسونَ أَن لا

الهَوانُ: الذُّلُّ.

تَترُكَني أموتُ هنا في قَصرِكَ.

وظنَّ جِلْجامِشُ أنَّ صديقَهُ يَهذي بسببٍ مِن نَوبةِ الموتِ الّتي تَنتظِمُه، فقالَ له:

- إلى أينَ تُريدُ أن آخُذَكَ يا صديقي؟

فأجابَ أَنْكيدو بصوتٍ كسيرٍ بثَّ فيهِ آخِرَ أنفاسِهِ:

- أتوسَّلُ إلَيكَ أن تَنقلَ فراشي إلى كوخٍ على ساحلِ «الفُراتِ» وتُخومِ الغابِ، لأَقضيَ السّاعاتِ المُتبقِّيَةِ من عُمري القصيرِ في أحضانِ أُمّي الطّبيعةِ، فأُكحِّلَ عينيَّ للمرّةِ الأخيرةِ بشروقِ الشّمسِ ورؤيةِ رُفقائي الحيواناتِ. انقُلْني إلى هُناكَ بسرعةٍ يا جِلْجامِشُ قبلَ أن يَقْسي إلَهُ الموتِ على أجنحتِهِ السّوداءِ إلى العالَمِ السُّفليِّ. أوّاهُ يا صديقي، كَم هي حُلوةٌ الحياةُ، وكَم جميلٌ أن يَتمتّعَ الإنسانُ بها، ولاسيّما في فصلِ الرّبيعِ هَذا، حينَ تَموجُ الأرضُ بضُروبِ الرّياحينِ والزّهورِ الملوَّنةِ، ويَسري النُّسغُ دَفّاقاً في عُروقِ الشَّجرِ

كسيرٌ: ليّنٌ ضعيفٌ.

النُّسغُ: سائلٌ يخرجُ منَ الشَّجرةِ إذا قُطعَتْ.

فَيُكسِبُها الحياةَ والنَّضارةَ، وتَنطلقُ قُطعانُ الحيَواناتِ، بعدَ انحباسٍ في أحجارِها وكُهوفِها، لِتَسرحَ وتَمرحَ في المَراعي الخضراءِ، وتَتزاوجَ وتُنسِلَ وتملأَ الأرضَ.

وكانَتْ هَذهِ آخِرَ كَلمةٍ لَفظَها أَنْكيدو، وبَعدَها فارقَ الحياةَ.

وأَخذَ جِنْجامِشُ يَبكيهِ ويَندُبُه بهَذهِ الكَلماتِ:

- اسمَعوني يا عِظامَ «أورْخويَ»، إنَّني أَبكي صديقي أَنْكيدو بكاءً مُرّاً... وأَنوحُ عليهِ نَوحَ المرأةِ على وَلدِها، ونَوحَ الأخِ على أَخيهِ.

إيهِ أَنْكيدو، يا صديقي ويا أَخي، لقَدْ كُنتَ الفأسَ الّتي على جَنبي، وعَزْمَ يَدي، وسيفَ حَمائلي...

«أَلا اسمَعوا يا ناسُ، فثمَّةَ صدىً يَتناهى عَبْرَ البلادِ، صدىً يُحاكي نَوحَ الأمِّ **الثَّكلى**، صدىً يقولُ: أَلا ابْكيهِ يا سائرَ المَسالكِ الّتي عَبْرناها معاً، ويا أَيَّتُها الحيَواناتُ الّتي اصطَدْناها، أَلا ابْكوهُ يا فَهدُ، يا نَمِرُ، يا أَسدُ، يا

الثَّكلى: الّتي فقدَتْ وَلَدها.

بَبْرُ، يا غَزالُ، يا أَيِّلُ، يا ثَورُ، يا ظَبيةُ.

«ويَبكيكَ الجبلُ الّذي تَسلَّقْناهُ حيثُ صرَعْنا المارِدَ،

«والأنهرُ الّتي سِرْنا على ضِفافِها تَبكيكَ،

«ويَبكيكَ مُحاربو «أورْخويَ» الّذينَ قتلَهُم ثورُ السّماءِ، وكلُّ سكّانِ «أريدو» يَبكونَكَ يا أَنْكيدو!

«والشُّبّانُ إخوانُكَ قَد أَرخَوْا الشُّعورَ كالنّساءِ وراحوا يَندُبونَكَ.

«إنَّ قَدَراً شرّيراً سيُقبِلُ اليومَ. أَوّاهُ أَخي الصّغيرَ أَنْكيدو، ويا أَعزَّ صديقٍ، أيُّ نومٍ هَذا الّذي يَنتظِمُكَ الآنَ؟ لقَدْ ضِعْتَ في الظّلامِ فما تَقوى على سَماعي!».

وجَسَّ جِلْجامِشُ قلبَ صديقِهِ فلَمْ يَكُنْ يَنبِضُ، ولَم يَكُنْ صديقُه لِيفتحَ عينَيهِ. فأدركَ أنَّهُ ماتَ. فمَدَّ **البُرْقُعَ**

البَبْرُ: نوعٌ منَ السّباعِ الهنديّة، أبيضُ البطنِ والجانبينِ ومُخطَّطٌ بخُطوطٍ سودٍ.
البُرقُعُ: غِطاءٌ يُستَرُ بِهِ الوَجهُ.

فوقَهُ مِثلَما تُبَرقَعُ العَروسُ. ومِثلَ أَسدٍ، بَل مِثلَ لَبوءةٍ سُرِقَ أشبالُها، أَخذَ يَزأرُ ويَصولُ حَولَ فِراشِهِ، يَنتُفُ شَعرَهُ، يَقذِفُه هُنا وهُناكَ. ومَزّقَ ثيابَهُ الجميلةَ وجَرَّها خَلفَهُ على الأرضِ كالأسمالِ الباليةِ.

وفي اليومِ التّالي، وقبلَ أن تَنوحَ أولى تَباشيرِ الفَجرِ، أَخذَ جِلْجامِشُ يُعوِلُ ويَقولُ صارخاً:

ـ مِثلَما وَفّرْتُ لكَ في حياتِكَ النّومَ على سريرٍ مُلوكيٍّ، والجلوسَ عَن يَساري حَتّى جاءَ مُلوكُ الأرضِ يُقبِّلونَ رِجلَيْكَ، هَكذا، بعدَ موتِكَ، سأَجعلُ كلَّ سكّانِ «أورْخويَ» يَندُبونَكَ ويَرثونَكَ عالياً. والشَّعبُ الّذي تَعوَّدَ الأفراحَ، سوفَ يَحني الظَّهرَ حُزناً عليكَ. وعِندَما تَعودُ إلى التّرابِ سأُرخي شَعري، وأَلبَسُ جلدَ أسدٍ، وأَهيمُ على وَجهي في البَراريِّ.

هَكذا ظَلَّ جِلْجامِشُ يَنوحُ ويَندُبُ صديقَهُ. سبعةَ نَهاراتٍ وسبعَ لَيالٍ بَكاهُ، حَتّى إذا حَلَّ الدّودُ في جُثمانِهِ، واستَولَتْ عليهِ أَنوناكي **زَبانِيةُ** الموتِ، أَسلَمَهُ

الزّبانيةُ: ملائكةُ الموتِ الّذينَ يَدفعونَ أهلَ النّارِ إليها.

ليُدفَنَ. وأَصدرَ إعلاناً دَعا فيهِ جميعَ صُنّاعِ البلادِ والصّاغةِ والحدّادينَ والنّحّاتينَ، وأَمرَهُم بأَن يَصنعوا تِمثالاً رائعاً لصديقِهِ. فنَحتوا التّمثالَ، وكانَ جِذعُه كلُّه مِنَ اللاّزَوَرْدِ، وبَقيّةُ جسمِهِ مِنَ الذّهبِ الخالِصِ. ونُصبَتْ مائدةٌ مِن خَشبِ الأرزِ، فوُضِعَ عليها إناءٌ خَمريُّ اللّونِ مليءٌ بالعسلِ، وآخَرُ مِنَ اللاّزَوَرْدِ مليءٌ بالدُّهنِ، تَقدِمةً للإلَهِ شَمَّش.

بحثاً عنِ الخُلودِ

ووُرِيَ أنْكيدو في التّرابِ، وانتهَتْ أيّامُ الحُزنِ علَيهِ، فأخذَتِ الحياةُ في «أورْحويَ» تَعودُ إلى مَجراها الطّبيعيِّ، وقفَلَ كلُّ إنسانٍ إلى عملِهِ كأنّهُ لَم يَكنْ شيءٌ مِمّا كانَ؛ ما عَدا جِلْجامِشَ، فقَدْ ظَلَّ وحدَهُ على صَمتِهِ وتَفكيرِهِ وحُزنِهِ العميقِ حينَ شَعَر، كما لَم يَشعُرْ مِن قبلُ، بأنَّ مصيرَهُ الموتُ هو أيضاً. كانَ قبلَ ذلكَ يَظُنُّ أنَّ الحياةَ إنَّما هي لَهْوٌ وعبَثٌ، أو مُغامَراتٌ ومَجدٌ، وأنَّ عُمرَ الإنسانِ، أوْ عُمرَهُ على الأقلِّ، ما له نهايةٌ. حتّى إذا فُجِعَ بأَنْكيدو راعَهُ صَمتُه وهُمودُه وانحلالُ جسمِهِ، وهالَتْهُ هُوّةُ الموتِ الفاغرةُ شَدْقَها أمامَهُ. فتذكَّرَ الحُلمَ الّذي رآهُ صديقُه في أُخرَياتِ أيّامِهِ، ذلكَ الحُلمَ الّذي

نَقَهُ إلى عالَمِ الأمواتِ حيثُ الملوكُ والأمراءُ يَعيشونَ أَبَدَ الدّهرِ في الظّلامِ، ويَقتاتونَ بالماءِ والطّينِ، وقَدْ تَعرّوْا مِن تيجانِهِم ومَحدِهِم. وعندئذٍ خلعَ عَن جسمِهِ ثيابَ المَلكِ، ولَبِسَ جِلدَ أسدٍ، وبارحَ قصرَهُ تحتَ جَنحِ الظّلامِ، راحَ يهيمُ على وَجهِهِ في المَتاهاتِ بحثاً عَن جَدِّهِ أوتْ ناباشْتِمَ ليَهَبَهُ الخُلودَ، لأنَّ الآلهةَ كانَتْ قَد نَقَتْ جَدَّهُ بَعدَ الطّوفانِ إلى مَوطِنِ دَلْمونَ في حديقةِ الشّمسِ، حيثُ كانَ يَنعمُ، دونَ سائرِ البشرِ، بالحياةِ الأبديّةِ.

وبَلغَ جِلْجامِشُ، بعدَ تَطوافِهِ الطّويلِ، وجَوَلانِهِ عَبْرَ البَراريِّ والغاباتِ والسّهولِ الشّاسعةِ، جبلَ «ماشو» الّذي يَحرُسُ مَشرِقَ الشّمسِ ومَغرِبَها، وتَتطاولُ قِمّتاهُ حَتّى جِدارِ السّماءِ، ويَنحدرُ سَفحُه إلى العالَمِ السُّفليِّ. وكانَتْ تَحرُسُ بابَهُ «العَقاربُ البَشَريّةُ» ذاتُ المجدِ المَهولِ الّتي تَبعثُ نَظَراتُها الموتَ في قلوبِ أشجعِ الرّجالِ. ولمّا شاهدَها جِلْجامِشُ خبّأَ عينَيهِ مِن وَهْجِها

السّاطعِ لِلحظاتٍ، ثُمَّ ما لَبِثَ أن تَمالكَ، وتقدَّمَ صوبَها بجُرأةٍ وإقدامٍ. فدَهِشَ الرَّجلُ العقربُ مِن شجاعتِهِ وقالَ له:

ـ وَيحَكَ يا هَذا، ما مِن رَجلٍ سِواكَ استطاعَ أَن يَقتحمَ هَذا الجبلَ الّذي يَكتنفُه الظّلامُ. أَلا أَخبِرْني: ما الّذي أَتى بكَ إلى هُنا؟

وأجابَهُ جِلْجامِشُ:

ـ إنَّ صديقي أَنْكيدو قَد ماتَ، وخِفتُ أن أموتَ مِثلَهُ، فأَتيتُ إلى هُنا لأَبحثَ عَن جَدّي أوتْ نَاپاشْتِم وأَسألَهُ عَن سرِّ الحياةِ. فحَذارِ، إنَّ كلَّ مَن يَعترِضُ طَريقي أسيرُ فوقَ جُثّتِهِ!

وفتحَ له الرَّجلُ العَقربُ بابَ الجبلِ خوفاً مِن بَطشِهِ. وأمعنَ جِلْجامِشُ في تَسلُّقِ الجبلِ والتّوغُّلِ في مَسالِكِه الوَعِرةِ المُخيفةِ. وما إن قَطَعَ ثلاثةَ أميالٍ حَتّى شَعرَ بالظّلامِ يَدلهِمُّ حَولَهُ. ولَم يَعُدْ يَرى شيئاً أمامَهُ أَو خَلفَهُ. وظلَّ على هَذهِ الحالِ حَتّى قَطعَ سبعةً وعشرينَ ميلاً، حينَ أَحسَّ بريحِ الشِّمالِ تَلفحُ وجهَهُ. غيرَ أَنَّ الظّلامَ

كانَ ما يَبرحُ **صفيقاً دامساً**. ولمّا اجتازَ ستّةَ أميالٍ أُخرى ظَهرَ له نورُ الفجرِ. وفي نهايةِ الأميالِ السّتّةِ والثّلاثينَ تَدفَّقَ نورُ الشّمسِ متألِّقاً ساطعاً يَملأُ الدُّنيا. فإذا هو في فِردَوسِ الآلهةِ الّذي تَتحلَّقُه خمائلُ تَحمِلُ الأحجارَ الكريمةَ. وراعَتْهُ ثمارُ الياقوتِ الخمريّةُ اللّونِ وهِيَ تَتدلّى حَلَلَ أوراقٍ مِن زُمرُّدٍ. وَبَدلَ الشّوكِ والحسَكِ كانَتْ هُناكَ حجارةٌ كريمةٌ مِن كلِّ نوعٍ، **كالمَرجانِ والزَّبَرْجَدِ والعقيق** ولآلئِ البحارِ.

وبينَما جِلْجامِشُ يَسيرُ مَذهولاً في هذا الفِردوسِ، وبمُحاذاةِ ساحلِ البحرِ، رآهُ الإلَهُ شَمْشُ وحَزنَ حينَ وَجدَهُ يَلبَسُ جِلدَ الحيواناتِ ويَقتاتُ بلُحومِها، فقالَ في نفسِهِ: «لا. ما مِن إنسانٍ سلَكَ هذا الطّريقَ، ولَن يَسلُكَهُ إنسانٌ». ثُمّ التفَتَ إلى جِلْجامِشَ وقالَ له:

صفيقاً: كثيفاً شديدَ العتمةِ.
دامِساً: شديدَ السّوادِ.
المرجانُ: صِغارُ اللّؤلؤِ.
الزَّبرجدُ: حجرٌ كريمٌ يُشبهُ الزُّمرُّدَ، أشهرُه الأخضرُ.
العقيقُ: خرزٌ أحمرُ.

ـ عَبثاً تَركضُ يا جِلْجامِشُ خلفَ الحياةِ الّتي تَنشُدُ. إنَّكَ لن تَجدَها.

فأجابَهُ جِلْجامِشُ مُتوسِّلاً ضارعاً:

ـ ألا أيُّها الإلهُ شَمَشُ، دَعْني أُكحِّلْ عيني بنورِ شمسِكَ، وأَتمتَّعْ ببهاءِ نورِكَ، حتّى يَكِلَّ منّي الطَّرْفُ، لأنّي، بأيِّ حالٍ، لَستُ بأفضلَ من إنسانٍ مَيتٍ.

وكانَتْ سيدوني، ساقيةُ الخمرِ، جالسةً ذلكَ النّهارَ في حديقتِها على الشّاطئِ بينَ كؤوسِها و**دِنانِها** الذّهبيّةِ، وقَدِ اكتَسَتْ بغِلالةٍ رقيقةٍ شفّافةٍ. فشاهدَتْ جِلْجامِشَ بلباسِهِ الجلديِّ، وجسدِهِ المقدودِ من مادّةِ الآلهةِ، مُقبلاً نحوَها. وكانَتِ الكآبةُ باديةً على وجهِهِ، فظَنَّتْهُ لأوّلِ وهلةٍ مجرِماً، فأوصدَتْ بابَها دونَهُ. ولَمّا سَمعَ جِلْجامِشُ صوتَ المِزلاجِ ناداها قائلاً:

ـ يا فتاةَ الحانةِ، لماذا تُغلقينَ بابَكِ في وَجهي؟ ألا اعْلَمي أنّي لَمُحَطِّمُه تحطيماً، فأنا جِلْجامِشُ الّذي قتلَ

الدّنانُ: مفردُها الدّنُّ وهُو وعاءٌ كبيرٌ للخمرةِ

ثورَ السّماءِ، وصرعَ الماردَ خِمْبابا حارسَ جبلِ الأرزِ، وفتكَ بأُسودٍ كثيرةٍ في ممرّاتِ الجبالِ.

فأجابَتْهُ سيدوني:

- إنْ كُنتَ حقّاً البطلَ جِلْجامِشَ فعَلامَ وَجْنتاكَ ذابلتانِ، ووجهُكَ شديدُ الاكتئابِ وقَدْ أحرقَهُ الحرُّ والقُرُّ؟ ولماذا هَذا البؤسُ في قلبِكَ، وعلى سيمائِكَ وَعْثاءُ السَّفرِ الطّويلِ؟ ما الّذي جعلَكَ تَتيهُ هَكذا في البراريِّ بَحثاً عَنِ الرّيحِ؟

ردَّ جِلْجامِشُ:

- بَل عَنِ الحياةِ أبحثُ يا سيدوني، وإلى جَدّي أوتْنابِشْتِمَ أَيَمِّمُ.

وقالَتْ له سيدوني بنَبرةٍ حزينةٍ، وقَدْ رَقَّ قلبُها لِحالِهِ:

- عبَثاً تَركضُ خَلفَ الحياةِ الأبديّةِ يا جِلْجامِشُ.

يمّم: قصد.

القُرُّ: البردُ.

الوعثاءُ: التّعبُ والمشقّةُ.

فعندما خلقَ الآلهةُ الإنسانَ جَعلوا الموتَ مِن نصيبِهِ، واحتفَظوا بالحياةِ لهُم وحدَهُم. لِذا تَمتّعْ بحياتِكَ القصيرةِ في الأرضِ، واملأْ بطنَكَ بشَهيِّ الطّعامِ وطيّباتِ الخمورِ. وافرَحْ يا جِلْجامِشُ، وارقُصْ، وأقِمِ الأعيادَ، وتنعَّمْ بزاهي الثّيابِ، واستحِمَّ بالماءِ العَطِرِ، وَ**هَدْهِدْ طفلَكَ**، وافرَحْ بالزّوجةِ الّتي هي بينَ ذراعَيكَ، لأنَّ هَذا أيضاً مِن نَصيبِ الإنسانِ...

وقالَ جِلْجامِشُ بإصرارٍ:

ـ كلُّ هَذا جميلٌ أيَّتُها السّاقيةُ الحسناءُ، ولكنْ أينَ الطّريقُ إلى أوتْ نابِشْتِمَ ابنِ أوبارا توتو؟

قالَتْ له صانعةُ الخمورِ:

ـ ما مِن أحدٍ مُنذُ بدءِ الكونِ استطاعَ عُبورَ الأوقيانوسِ يا جِلْجامِشُ. رهيبةٌ مسالكُه، وعميقةٌ عميقةٌ مياهُه. الشّمسُ وحدَها **تَجوزُه** في جَلالِها، والإلهُ شَمَشُ وَحدَهُ يَقطعُه. ولكنّكَ ما دُمتَ تُصرُّ على

هَدهَدَ الطّفلَ: حرّكَهُ لِيَنامَ.

جازَ المكانَ يَجوزُه: سارَ فيهِ وقَطعَهُ.

عُبورِهِ فثمّةَ في أعماقِ الغابِ أورْشانابي، **مَلّاحُ** أوتْ ناباشْتِمَ فلعلّكَ تَعبُرُ المياهَ معَهُ، وإلّا فعُدْ أدراجَكَ على عَجلٍ قبلَ أن تَهلَكَ.

وفي أعماقِ الغابِ التَقى جِلْجامِشُ وأورْشانابي رُبّانُ أوتْ ناباشْتِمَ. وضعَ الاثنانِ مَركباً عظيماً دفَعاهُ إلى خِضمِّ مياهِ الموتِ، وقَدْ وقفَ جِلْجامِشُ في وسَطِهِ رافعاً ذِراعَيهِ **كصاريتَينِ**، ولِباسُه الجلديَّ كشِراعٍ. وكانَتِ الرّيحُ مؤاتيةً، فقَطَعا في ثلاثةِ أيّامٍ مسافةَ شهرٍ ونصفِ الشّهرِ، حَتّى إذا أَشرَفا على «دِلْمونَ»، المكانِ الّذي تَمرُّ فيه الشّمسُ ويَقطُنُ الخالدونَ، لمَحَهُما أوتْ ناباشْتِمُ، فقالَ في قلبِهِ مُتسائلاً:

ـ عجَباً كيفَ يُبحِرُ هَذا المَركبُ المُقبلُ دونَما حِبالٍ وشِراعٍ؟ ولماذا لا يَقودُه رُبّانُه؟ ومَن هَذا المُنتصِبُ على مَتنِهِ كالسّورِ العالي؟ بكلِّ تأكيدٍ هو ليسَ أحدَ رجالي.

المَلّاحُ: الرُّبّانُ أوْ قائدُ السّفينةِ.

الصّاريَةُ والصّاري: عمودٌ في وسطِ السّفينةِ يُعلّقُ به الشّراعُ.

ولَمّا بَلَغَ المركبُ الشّاطئَ قَفزَ مِنهُ جِلْجامِشُ، وهَرعَ إلى جَدِّهِ وارْتمى بينَ ذراعَيهِ باكياً شاكياً:

ـ إي أَبَتاهُ أوتْ ناباشْتِمَ، أنا جِلْجامِشُ ابنُ لوكالْ بانْدا. لقَدْ عانَيتُ مَشقّاتٍ كثيرةً، وقاسَيتُ الأهوالَ، حَتّى وَصلْتُ إلَيكَ. إي جَدّاهُ! يا مَن دَخلْتَ في زُمرةِ الخالدينَ! إنّي أَتَيتُ لأَسألَكَ عَن سرِّ الحياةِ. هَلّا تُخبِرُني كيفَ الوصولُ إلَيهِ!

فأجابَهُ أوتْ ناباشْتِمُ:

ـ ما مِن بيتٍ يا وَلَدي نَسكُنُه إلى الأبدِ، أو عَقدٍ نُبرِمُه إلى ما لا نهايةَ. وهَل رأيْتَ إخوةً يَتقاسمونَ ميراثاً مدى الأيّامِ؟ التّنّينُ المُجنَّحُ وَحدَهُ يَدورُ في الأفلاكِ ويَشهدُ مجدَ الشّمسِ. ما مِن دَيونةٍ لأحدٍ يا جِلْجامِشُ. وسِيّانِ النّومُ والمَنيّةُ، والسّيّدُ والمَسودُ في يومِ الدّينِ، حينَ يَقفُ جميعُ البَشرِ أمامَ النّوناكي أربابِ الدّينونةِ وماميتونَ أُمِّ الأقدارِ، لِيُقرِّروا مصائرَ البَشرِ.

سيّان: مُماثلانِ مُتساوِيانِ (مثنّى «سِيٌّ» والسِّيُّ هو المَثيلُ والمُساوي).
المنيّةُ: الموتُ.

فقالَ جِلْجامِشُ:

ـ إنَّ شكلَكَ يا أوتْ ناباشْتِمُ لا يَختلفُ عَن شكلي في شيءٍ. وما مِن غريبٍ في قَسَماتِكَ. فأَصدِقْني القولَ: كيفَ دخلْتَ أنتَ في صُحبةِ الآلهةِ واكتسبْتَ الخلودَ؟

ولَمْ يَجِدْ أوتْ ناباشْتِمُ بُدّاً مِن أَن يَقُصَّ على حفيدِهِ قصّةَ الطّوفانِ فقالَ:

ـ كانَ الآلهةُ في قديمِ الزّمانِ هُم الّذينَ يَحكمونَ البَشرَ في مدينةِ «شَروباكَ» الّتي كانَتْ تَقعُ بعيداً شِماليَّ غَربيِّ «أورْخويَ». ثُمَّ عَنَّ لِلآلهةِ ذاتَ يومٍ أَن يُغرِقوا العالَمَ بطوفانٍ مدمِّرٍ، فعَقَدوا اجتماعاً برئاسةِ أَبيهِمِ آنو وعُضويّةِ الآلهةِ أَنْليلَ مُشيرِهِم، ونَنورْتا وَزيرِهِم، وأَنوكي رَسولِهِم، وآيا الّذي جاءَ إلى كوخي القَصَبيِّ وخاطَبَني قائلاً:

ـ يا كوخَ القَصَبِ! يا حائطَ القَصَبِ! يا حائطُ! يا حائطُ! اسمَعْ يا كوخَ القَصَبِ وافهَمْ يا حائطُ! يا رَجلَ شَروباكَ ويا ابنَ أوباراتوتو، اهدِمِ البيتَ الّذي تَسكنُه

وابنِ لكَ **فُلكاً** وانجُ بنفسِكَ.

وهَكذا قُمتُ يا جِلْجامِشُ وبنَيتُ لي فُلكاً عظيماً نَقلْتُ إليهِ بِذارَ كلِّ حيٍّ مِن حيَوانٍ ونَباتٍ، ونَقلْتُ إلَيْهِ أيضاً كلَّ ما أَملِكُ مِن ذهبٍ وفضّةٍ، معَ جميعِ أهلي وأَقربائي وماشِيَتي. ثُمَّ جاءَ الطّوفانُ وغَمرَ الأرضَ والجبالَ العاليةَ، فماتَ كلُّ حيٍّ على وَجهِ الأرضِ، وهَذا الأمرُ أحزنَ الآلِهةَ وأبكاها. حَتّى كانَ اليومُ السّابعُ، فهدَأَ اليمُّ، وسكنَتِ العاصفةُ، وبانَتِ اليابسةُ، فاستَقرَّ فُلْكي على جبلِ «نصيرٍ» لمدّةِ سبعةِ أيّامٍ أُخرى. ثُمَّ خرجْتُ مِن فُلكي معَ أهلي وحيَواناتي، وقرَّبْتُ إلى الرّبِّ قُرباناً في أربعَ عشْرةَ قِدراً. فتَنسَّمَ الآلِهةُ رائحةَ قَرابيني، وحاموا كالذُّبابِ حولَ قُدوري. فقامَتِ الرّبّةُ عِشْتارُ ورَفعَتْ بيَمينِها عِقدَ الجواهرِ الّذي وَهبَها إيّاهُ الإلَهُ آنو وقالَتْ:

ـ إنْ أَنْسَ عِقدَ اللاّزَوَرْدِ هَذا الّذي يَزينُ **جيدي**، لا

الفُلكُ: السّفينةُ.

الجيدُ: العُنقُ الطّويلُ الجميلُ.

أَنْسَ هَذا اليومَ المَجيدَ بينَ الأيّامِ. وسوفَ أُعيدُ الحياةَ والخِصبَ والفرحَ إلى الكونِ إلى مَدى الأيّامِ.

ثُمّ تقدَّمَ الإلَهُ أَنْليلُ مِنّي ومِن زَوجي، وأَصعَدَنا كِلَيْنا إلى مَتنِ الفُلكِ وبارَكَنا أَمامَ جميعِ الآلِهةِ والأهلِ وقالَ:

ـ لَم يَكنْ أوتْ ناباشْتِمُ قبلَ اليومِ سِوى إنسانٍ قابلٍ للموتِ ككلِّ النّاسِ، لَكنْ بعدَ اليومِ سيُصبحُ هو ورَوجُه إلَهينِ خالدَينِ مِثلَنا. وسوفَ يَقطُنُ بعيداً عَن هَذا المكانِ، سيَقطُنُ في «دِلْمونَ» عندَ مَصبِّ الأنهارِ.

ولمّا أَنهى أوتْ ناباشْتِمُ سردَ قصّةِ الطّوفانِ وَضعَ يدَهُ برِفقٍ على كَتفِ حفيدِهِ وقالَ له:

ـ هذا هو سرُّ خلودي يا جِلْجامِشُ. فمَن أنا حتّى أَجمعَ شَملَ الآلِهةِ مجدَّداً ليَهبوكَ الخلودَ؟ ولَكنّي سأَمتحنُكَ بأيِّ حالٍ لأرى هَل أنتَ أهلٌ لذلكَ. فهَل تَقبلُ الامتحانَ؟

قالَ جِلْجامِشُ:

ـ أَقبلُ كلَّ أنواعِ الامتحانِ شريطةَ أَن أنالَ الخلودَ.

وقالَ أوتْ ناباشْتِمُ:

ـ أمّا الامتحانُ فأَن تَظلَّ ساهراً ستّةَ أيّامٍ وسَبعَ ليالٍ، فهَل تَستطيعُ هذا؟

أجابَ جِلْجامِشُ:

ـ أستطيعُ.

تَرَكَ أوتْ نابِاشْتِمُ جِلْجامِشَ واختلى بزَوجِهِ وقالَ لها:

ـ أَحببْتُ أَن أَمتحِنَ اليومَ ضَيفَنا. ولمّا كانَ الإنسانُ، لِضَعفِهِ، ميّالاً إلى الكذبِ والخِداعِ كما تَعلمينَ، لِذا اخْبِزي كلَّ ليلةٍ، وضَعي رغيفاً طازجاً عندَ رأسِ جِلْجامِشَ، هَذا إذا نامَ.

وكانَ سلطانُ النّومِ أَقوى مِن جِلْجامِشَ، فنامَ في الأيّامِ السّتّةِ، وتَلِفَتْ على التّوالي، أو يَبِسَتِ الأرغفةُ الّتي وُضِعَتْ عندَ رأسِهِ. واستيقظَ في اليومِ السّابعِ حينَ مسَّ الرّغيفُ السّابعُ رأسَهُ وكانَ ساخناً بعدُ، فظنَّ أنَّ أوتْ ناباشْتِمَ هو الّذي مَسَّهُ فأيقظَهُ. ولمّا رأى الأرغفةَ التّالفةَ حولَهُ علِمَ بالأمرِ، وأَقرَّ بضَعفِهِ، وأَذعَنَ لمَصيرِهِ المحتومِ.

وقبلَ أَنْ يُبارحَ جِلْجامِشُ المكانَ بصُحبةِ أورْشانابي تقدَّمَتِ امرأةُ أوتْ ناباشْتِمَ مِن زَوجِها وقالَتْ له:

ـ هُوَذا جِلْجامِشُ عائدٌ إلى وَطنِهِ، فماذا أنتَ مانِحُه؟

فرَقَّ قلبُ أوتْ ناباشْتِمَ وخاطبَ حفيدَهُ:

ـ سأكشِفُ لكَ يا جِلْجامِشُ عَن شيءٍ خطيرٍ، وسرٍّ مِن أسرارِ الآلِهةِ ائتمنَتْني علَيهِ. فثمّةَ في أعماقِ البحرِ نبتةٌ كالوردةِ ذاتُ أشواكٍ تَجرحُ اليدَ، إذا تمكَّنْتَ مِنَ الحصولِ علَيها فهِيَ قَمينةٌ بأَن تُعيدَ للإنسانِ شبابَهُ الضّائعَ.

كانَ ذلكَ في أَواخرِ الصّيفِ، ومياهُ البحرِ ساجيةٌ صافيةٌ وزرقاءُ. فربَطَ جِلْجامِشُ رِجلَيهِ بِحجارةٍ ثقيلةٍ، وأمعنَ في الغَوصِ حتّى أَدركَ تلكَ النَّبتةَ العجيبةَ. استأصلَها مِن جذورِها، وقطعَ الحبلَ الّذي يَربِطُ الحجارةَ برِجلَيهِ، فساقَهُ التَّيّارُ إلى السّاحلِ. وهُناكَ رفعَ نَبتةَ الحياةِ بيَدِهِ عالياً في الهواءِ، كأنَّهُ يَتَحدّى

قمينةٌ: جديرةٌ.

الآلِهةَ والسّماءَ، وقالَ:

ـ لقَدْ أَصبحْتُ بعدَ اليومِ خالدَ الشَّبابِ كواحدٍ مِنكُم، فلَن أُرهِبكم ولَن أَهابَ الرّبّةَ عِشْتارَ، ولا القَدَرَ نِمْتارَ. لا، ولَن يَكونَ مَصيري بعدَ اليومِ كمصيرِ أَنْكيدو. وسوفَ أُطلقُ عليها اسمَ «عَودةُ الشّبابِ إلى الشّيوخِ». ثُمّ سآكُلُ مِنها بذوري حينَ أَشيخُ، فأَستعيدُ فُتُوّتي مَدى الحياةِ.

وأَخذَ جِلْجامِشُ طريقَ العَودةِ إلى عاصمتِهِ «أورْخويَ» وهُو سعيدٌ باكتشافِهِ. فراحَ يَضرِبُ في **الفَيافي** والقِفارِ، ويَقطعُ السّهولَ والأَوديةَ نَهاراتٍ ولَياليَ كثيرةً، حَتّى انتَهى ذاتَ يومٍ، قُربَ الظّهيرةِ، إلى بُحيرةٍ على تُخومِ غابةٍ. وكانَتْ مياهُها صافِيةً رَقراقةً، تَبتردُ فيها ظِلالُ الأشجارِ الحانيةِ عليها. فذكَّرَتْهُ بمياهِ «الفُراتِ» **النّميرِ** ورَغبَ في السّباحةِ. فوَضعَ نَبتةَ الحياةِ على الضَّفّةِ، وانتزَعَ عَنهُ جِلدَ الأسدِ الّذي كانَ لا يَزالُ

الفيافي: مفردُها الفيفى أو الفيفاءُ وهي الأرضُ الواسعةُ لا ماءَ فيها.

الماءُ النّميرُ: الصّافي العذبُ.



يَلبَسُه، وقفزَ إلى البُحيرةِ يَسبحُ فيها فَرِحاً نَشوانَ، حَتّى جَدَّدَ نشاطَهُ. ولمّا خرجَ مِنَ الماءِ، واتّجهَ صوبَ النّبتةِ، رأى أفعى رَقطاءَ تَسبِقُه إليها مَجذوبةً برائحتِها الذّكيّةِ. وكانَ جِلدُها اللّمّاعُ يَبرُقُ تحتَ أشعّةِ الشّمسِ. وإذا بها، لعَظيمِ دهشتِهِ، تَلتهِمُ نَبتةَ الحياةِ وتُجدِّدُ شبابَها في الحالِ، لأنّها، ما إن تَسلَّلتْ في الدَّغْلِ، حَتّى خلّفَتْ وراءَها جلدَها القديمَ، وتألّقَتْ، كشريطِ البَرقِ، بجسمٍ يَتموّجُ بأزهى الألوانِ وأبهاها.

فاقتعَدَ جِلْجامِشُ ضَفّةَ البُحيرةِ، وأخذَ طويلاً للصّمتِ والتّفكيرِ ورأسُه بينَ يدَيهِ. وهالَهُ حينَ بدَتْ مِنهُ التفاتةٌ إلى المياهِ تحتَهُ، أن يَرى وجهَهُ المنعكِسَ على صفحتِها وكأنّما اجتاحَهُ الهَرَمُ بلَحَظاتٍ. وخفقَ فؤادُه مِنَ الهَلعِ، وساوَرَتْهُ الهمومُ مجدّداً... إذنْ، فبَعدَ هَذهِ **الغضونِ** في وَجهِهِ يَأتي دَورُ المَشيبِ، ثُمّ المرضِ، فالموتُ في آخرِ المَطافِ. بلى! سيَموتُ بدَورِهِ مِثلَ

الغضونُ: التّجاعيدُ.

صديقِهِ أنْكيدو، ما مِن ذَلكَ مَهرَبٌ!

واستأنَفَ سيرَهُ الطّويلَ صوبَ «أورْخويَ» **مَهيضَ** الجناحِ، كَسيرَ القلبِ، حَتّى أَشرفَ علَيها أخيراً، وكانَ ذَلكَ عِندَ الأصيلِ؛ فارْتمى مثلَ أسدٍ جريحٍ على **كثيبٍ** مِنَ الرّملِ، وقُبالتَهُ كانَ «الفُراتُ»، الّذي تُغضِّنُ صفحتَه الرَّماديّةَ نَسَماتُ المساءِ، يَنسابُ انسيابَ الأفعى. وفي رأسِ جِلْجامِشَ كانَ يَنسابُ سَيلُ الذّكرياتِ تَسوقُه رياحُ الزّمنِ المُوَلّي: ذكرياتٌ قديمةٌ وحديثةٌ، باسمةٌ وعابسةٌ، حُلوةٌ ومُرّةٌ، وكلُّها كأنّها تَقولُ له: كلُّ شيءٍ يَسيرُ إلى الزّوالِ يا جِلْجامِشُ ما خلا الطّبيعةَ، وهَذا النّهرَ الخالدَ.

ورَفعَ طَرْفَهُ إلى «أورْخويَ» الّتي كانَتِ الشّمسُ تُؤذِنُ بمُفارَقتِها. فآلَمَهُ أَن يُفارِقَ بدَورِهِ هَذهِ المدينَةَ الّتي شَهِدَتْ عبَثَهُ ومَجونَهُ، حُبَّهُ وصداقتَهُ، بُطولاتِهِ ومُغامراتِهِ وأَمجادَهُ العظيمةَ. آلَمَهُ أن يُفارِقَها إلى الأبدِ،

المهيضُ: المكسورُ.
الكثيبُ: التلُّ مِنَ الرّملِ

فتمتمَ بحسرةٍ: «بَلى. سَرابٌ بسَرابٍ هي الحياةُ، وعَبَثٌ بعَبَثٍ». كيفَ لا وجميعُ الصِّعابِ الّتي عانى، والأهوالِ الّتي ذَلَّلَ، والانتصاراتِ والأمجادِ الّتي أحرزَ، ذهبَتْ هَدراً وهباءً منثوراً، بسببِ هَفوةٍ صغيرةٍ، بَل بسببِ حشرةٍ حقيرةٍ سببَتْه لذّةَ الحياةِ بسَلبِها نبتةَ الحياةِ؟!

ثُمَّ، أَلَم يَكنْ صديقُه أنْكيدو يَتمتَّعُ مِثلَهُ بالصِّحّةِ والقوّةِ والشّبابِ، فهَمَدَ بلحظةٍ، وانطفأَتْ حياتُه إلى الأبدِ!؟

وعادَ يَتأمّلُ «الفُراتَ» المُنسابَ أمامَهُ عميقاً صامتاً ورهيباً غدّاراً في سَعيِهِ الحثيثِ، فذكَّرَهُ بالأَفعى الّتي اختطفَتْ مِنهُ نَبتةَ الحياةِ وهِيَ لا تَدري نفَداحةِ جُرمِها وقيمةِ الغنيمةِ الّتي سَلَبَتْ. وتَساءلَ كمَنِ انكَشفَتْ له الحقيقةُ برَوعتِها وأَجلى مَعانيها:

السّرابُ: ما يبدو كالماءِ عند اشتدادِ الحرِّ ويُضربُ بِهِ المثلُ في الغشِّ والخِداعِ.
العبَثُ: اللَّعِبُ والهزلُ وارتكابُ أمرٍ غيرِ معلومِ الفائدةِ.
همَدَ: ماتَ.

ـ ولكنْ ما هو الإنسانُ؟ ما قيمتُه، إن كانَتْ حشرَةٌ حقيرةٌ، أَو دُويبّةٌ، أَو زَحّافةٌ كتِلكَ الأَفعى الرّقطاءِ، تَحظى أَكثرَ منهُ بطولِ الحياةِ؟ أَليسَتْ هُنالِكَ حيَواناتٌ أُخرى عديدةٌ تُعمِّرُ أَكثرَ مِنَ الإنسانِ، وأشجارٌ ونباتاتٌ أبديّةُ الاخضرارِ! إذَنْ، فالعِبرةُ لَيسَتْ بطولِ العُمرِ وقِصَرِه، بَل هي بالأعمالِ التي نترُكُ بَعدَ الموتِ، وبالخِدماتِ الّتي نُقدِّمُ للآخَرينَ. لا، لَيسَتِ السّعادةُ بالأمجادِ الّتي نَكسَبُ، ولا بالأموالِ الّتي نُكدِّسُ، ولا بالرَّفاهيةِ الّتي نؤمِّنُ لأَنفسِنا وحدَنا، لا، ولا هي بالقوّةِ والمُلكِ والجاهِ والسُّلطانِ؛ إنَّ كلَّ هَذهِ فانيةٌ، وفي الأرضِ باقيةٌ. إنَّما قيمةُ الحياةِ بأن نملأَها بجَليلِ الأعمالِ. هذا هو معنى الخُلودِ. الإنسانُ يَعملُ لِلخُلودِ.

ونَهضَ جِلْجامِشُ فَرِحاً سعيداً باكتشافِهِ الجديدِ. ولَم تَكنْ غِبطتُه، حينَ وصلَ إلى هَذهِ النُّقطةِ مِن تفكيرِهِ، بأقلَّ مِنها حينَ كانَ يَرفعُ بيَدِهِ، وهو خارجٌ مِن مياهِ البحرِ، نَبتةَ الحياةِ يَتحدّى بها السّماءَ والآلِهةَ.

وحينَ دَخلَ جِلْجامِشُ «أورْخويَ» في تِلكَ العشيّةِ

وولَجَ قصرَهُ، كانَ يُفكِّرُ في شيءٍ واحدٍ، هو أَن يَصرِفَ إلى البُنيانِ والعُمرانِ لا غيرَ.

وهَكذا أَخذَ يَسُنُّ الشّرائعَ والقوانينَ، ويَحكُمُ بالعَدلِ حَتّى وافَتْهُ المَنيّةُ وَهُو قريرُ العَينِ، وسعيدٌ بمصيرِهِ ككلِّ الحُكماءِ...

وافَتْهُ المنيّةُ: أدركَهُ الموتُ

الاستثمارُ التّربويُّ

جلجامش

① في الفَهمِ والتّحليلِ

1. أينَ تقعُ مدينةُ «أورخويَ»؟ وما دليلُكَ؟
2. في أيِّ زمنٍ تَجري أحداثُ هذه القصّةِ؟
3. بمَ كانتْ تُبنى البيوتُ في تلكَ الأيّامِ؟ وكيفَ كانتْ أشكالُها؟
4. ما الحُلمُ الّذي رآه أنمِركارُ؟ وكيفَ فسّرَهُ العرّافُ؟
5. هَل تحقّقَ الحُلمُ كما فسّرَهُ العرّافُ؟ كيفَ؟
6. ما كانَتْ ردّةُ الفعلِ عندَ المَلكِ أنمِركارَ عندما أنبأهُ العرّافُ بأنَّ ابنتَهُ وَلدَتْ ولدَها البكرَ؟ وكيفَ تصرّفَ؟

كيفَ تمَّ إنقاذُ الطّفلِ؟ ومن اعتنى به بعدَ إنقاذِهِ؟ ومَن سمّاهُ جلجامش؟

8. ماذا كانَتْ نتيجةُ المواجهةِ بينَ جلجامش والملكِ أنمِركار؟ وهل تَراها عادلةً؟ ولماذا؟
9. ماذا تَفهمُ بعبارةِ «فتمَّ بذلكَ حُكمُ القَدرِ»؟
10. كانَ سكّانُ «أورخويَ» يخافونَ جلجامشَ ويحبّونَهُ في آنٍ معاً؛ ما سرُّ هذا التّناقضِ في مشاعرِهم نحوَهُ؟
11. لماذا فضّلَ ناهيرُ وشيرينُ الانتحارَ بدلاً مِن إتمامِ زواجِهما؟ وعلامَ يدلُّ تصرُّفُهما هذا؟
12. كيفَ برّرَ صديقُ لزوجتِه عدمَ قُدرتِه على إنقاذِ ولدِه وحبيبتِه مِن اعتداءِ جلجامشَ عليهما، على رُغمِ أنَّ له دالّةً عليهِ؟

13. ماذا طلب الحكماءُ والشعبُ والكهنةُ إلى الإله آنو؟ وهل استجاب طلبَهُم؟ وكيفَ؟

14. في شخصيّةِ جلجامش نقصٌ وصحٌّ؛ بيِّنْ هذا النّقصَ واذكرْ أسبابَهُ.

15. كيفَ خلقَتِ الإلاهةُ أورورو أنكيدو؟ وماذا يعني اسمُه؟

16. لماذا أخذَ الرُّعبُ والغضبُ منَ الصّيّادِ ياشيرَ عندَما رأى أنكيدو للمرّةِ الأولى؟

17. لماذا أقضَّ الحُلمُ مضجعَ جلجامشَ؟ وكيفَ فسّرَتْهُ له أُمُّه؟

18. ما الخِطّةُ الّتي رسمَتْها ننسونُ لترويضِ أنكيدو الإنسانِ الحيَوانِ؟

19. هَل نجحَتْ هذه الخِطّةُ؟ وكيفَ صارَ أنكيدو بفضلِها؟

20. كانَ الرُّعيانُ أوّلَ مَن استفادَ مِن وجودِ أنكيدو؛ كيفَ هذا؟ وَضِّحْ إجابتَكَ.

21. لماذا قرّرَ أنكيدو أن يَتحدّى جلجامشَ؟

22. كيف كان وقعُ جوِّ المدينة على أنكيدو أوّلَ مرّةٍ دخلها؟ وماذا كانَتْ مَشاعرُه حِيالَ أبنيتِها ومعابدِها؟

23. كيف كان اقتتالُ جلجامش وأنكيدو؟ وكيف انتهى؟ وماذا حصلَ بعدَهُ؟

24. كيفَ أقنعَ أنكيدو جلجامش بتغيير نمط حياته؟ وما كان مَوقفُ جلجامشَ مِن هذا التّغيير؟

25. ما كانَتْ غايةُ جلجامش من رحلته إلى غابةِ الأرز؟ وبمَ نصحَهُ الكهنَةُ والحُكماءُ قُبيلَ بدءِ الرّحلة؟

26. لماذا رفعَ جلجامشُ الصّلاةَ إلى الإله شَمَش قبل انطلاقِه إلى غابةِ الأرز؟ وهل استجاب شَمَشُ صلواتِه؟

27. ما أنواعُ الأسلحةِ الّتي تزوّدَ بها جلجامشُ وأنكيدو في رحلتِهما لمواجهةِ الماردِ خمبابا؟

28. كانتْ دهشةُ جلجامشَ وأنكيدو عظيمةً جدّاً حين أشرفا من قمّةِ الجبلِ على غابةِ الأرزِ؛ بيّنْ لنا هذا.

29. أثبتَ أنكيدو أنّه صَديقٌ مُخلِصٌ لجلجامشَ؛ أينَ ظهرَ لكَ هذا الإخلاصُ؟

30. لماذا رفضَ جلجامشُ الزّواجَ بعشتار؟ وكيفَ انتقمتْ منهُ؟

31. ما الحُلمُ الرّهيبُ الّذي رآهُ أنكيدو وهو على فراشِ الموتِ؟ وهل تحقّقَ؟

32. ماذا فعلَ جلجامشُ بعدَ أنْ ووري صديقُه أنكيدو في التّرابِ؟

33. كيفَ امتحنَ أوتْ نابِاشْتِمُ حفيدَهُ جلجامشَ؟ وهل نجحَ جلجامشُ في هذا الامتحانِ؟ لماذا؟

34. كيفَ حصلَ جلجامشُ على نبتةِ الحياةِ؟ وكيفَ فقدَها؟

35. ما العبرةُ الّتي استخلصَها جلجامشُ بعدَ فقدانِه نبتةَ الحياةِ؟ وهل تُوافقُه على مضمونِها؟ لماذا؟

36. ماذا قرّرَ جلجامشُ أنْ يفعلَ حينَ عادَ إلى «أوروك»، بعدَ أنْ أخفقَ في بحثِه عن الخلودِ؟

2 مِن وَحْيِ النّصّ

1. أواقعيّةٌ هذهِ القصّةُ أم خُرافيّةٌ؟ علّلْ إجابتَكَ.

2. تجري أحداثُ هذه القصّةِ في بلادِ ما بينَ النّهرينِ؛ عرّفْ بهذه البلادِ وقُلْ ما اسمُها اليومَ.

3. قالتْ ننسونُ لابنِها جلجامشَ وهي تخطّطُ لترويضِ أنكيدو: «حكمةُ النّساءِ دعْها للنّساءِ يا ولدي». هل ترى للنّساءِ حكمةً

خاصّةً بهنّ؟ وعلامَ تعتمدُ هذه الحكمةُ؟ هَل تعرفُ حدثًا يُثبتُ هذا الأمرَ؟

4 من مظاهرِ طغيانِ جلجامش أنّه كانَ يُريدُ أن يتزوّجَ كلَّ ليلةٍ عروسًا؛ بمنْ من الطُّغاة يُذكّرُك هذا الأمرُ؟ وفي أيِّ قصّةٍ؟ وكيفَ انتهتْ تلكَ القصّةُ؟

5 وردَ في القصّةِ ذكرُ «موسيقى الغابِ» الّتي لم تَعرفْ مثلَها ناياتُ «أورخويَ» وقيثاراتُها الفضّيّةُ؛ ما الفرقُ بينَ النّاي والقيثارةِ؟ وموسيقى أيٍّ منهُما تفضّلُ؟ ولماذا؟

6 هل تعرفُ آلاتٍ موسيقيّةً أُخرى؟ عدّدْها مميّزًا الوتريّةَ منها من آلاتِ النّفخِ والإيقاعِ.

7 تحابَّ أنكيدو وتمارُ منذُ اللّحظةِ الأولى لِلقائهما، ومن النّظرةِ الأولى؛ هل تؤمنُ أنتَ بالحبِّ من النّظرةِ الأولى؟ ولماذا؟

8 نصحَ أنكيدو جلجامش بقولِه «احكُمْ رعيّتكَ بالعدلِ في مملكتِك». وجِّهْ بدورِك خمسَ نصائحَ أُخرى إلى جلجامش، تتعلّقُ بطريقةِ إدارتِه الحُكمَ.

9 كانَ المردُ خمبابا يعيشُ في غابةِ الأرزِ؛ في أيِّ بلدٍ تعتقدُ أنَّ غابةَ الأرزِ هذه موجودةٌ؟ ولماذا؟

10 كم غابةَ أرزٍ في لبنانَ؟ عدّدْها وتحدّثْ قليلاً عن كلٍّ منها

11 ظلَّ جلجامشُ وأنكيدو ينظرانِ إلى الأرزةِ المقطوعةِ بأسفٍ عميقٍ كأنّهما أتيا أمرًا مُنكرًا؛ هل قطعُ الأرزِ أو غيرِه من الشّجرِ أمرٌ مُنكرٌ ومؤسفٌ؟ لماذا؟

12 قالَ جلجامشُ لأنكيدو: «أنا أعلمُ أنَّ الموتَ لا بُدَّ منهُ إنْ آجلاً أو عاجلاً»؛ هَل توافقُهُ في قولِهِ هذا؟ لماذا؟

13 مَن هي عشتارُ؟ وفي أيِّ أُسطورةٍ وَرَدَ اسمُها؟ وبأيِّ اسمٍ اقترنَ؟

14. فصّ أوتْ نابشْتمْ على حفيدهِ جلجامش قصّة الطّوفان والفُلْك وكيفيّة نجاته مع بذار كلّ حيٍّ من حيوانٍ ونباتٍ؛ بمن من شخصيّات التّوراة تذكّرك هذه القصّةُ؟ وماذا تعرفُ عنهُ وعن ذرّيّته؟
15. هل تعتبرُ قصّة التّوراة الشّبيهة بهذه القصّة خرافيّةً مثلها؟ لماذا؟ علّلْ إجابتكَ.
16. اتّهم أوتْ نابشتمْ الإنسان بأنّه، لضعفه، ميّالٌ إلى الكذب والخِداع؛ هل توافقُه على اتّهامهِ هذا؟ علّلْ إجابتَكَ.
17. جاءَ في الفِقرةِ الأخيرةِ منَ القصّةِ أنَّ جلجامشَ «أخذَ يسنُّ الشّرائع والقوانين، ويحكُمُ بالعدلِ حتّى وافتْهُ المنيّةُ وهو قريرُ العينِ، وسعيدٌ بمصيرهِ ككُلِّ الحُكماء»:

أ. حاوِلْ أن تُميّزَ بالاستنادِ إلى القاموسِ، الفرقَ بين الشّريعةِ والقانونِ.

ب. هل يكونُ الحكماءُ سُعداءَ بمصيرِهم حقًّا؟ لماذا؟

في التّعبيرِ واللُّغة

1. صِفْ لنا كُلًّا من جلجامش وأنكيدو مبيّنًا أوجُه الشّبه وأوجُه الاختلافِ بينَهما.
2. في آخرِ القصّة خرجَ جلجامشُ بعبرةٍ تلخّصُ مسيرة حياته وما خبرَهُ فيها؛ عُدْ إلى هذهِ العبرةِ ابتداءً مِن تساؤلِهِ: ولكنْ ما هو الإنسانُ؟ وانقُلْها إلينا بلُغتِكَ وأُسلوبِكَ.
3. حوِّلِ العباراتِ التّالية إلى صيغة المُثنّى ثُمَّ إلى صيغة الجمع: «حتّى إذا قدِمَ الإنسانُ الوحشُ ليَرِدَ الماءَ، على عادتِهِ، اسبقيهِ أنت إليه؛ فما إنْ تقعُ عينُهُ على مفاتنكِ حتّى يقعَ في حُبّكِ وحبائلِكِ».

4. في العبارةِ التّاليةِ حشدانِ لفظيّانِ لمجموعتَينِ مِنَ المُفرداتِ المتلاحقةِ؛ استخرِجْهُما وبيِّنْ دورَ كلٍّ منهُما في التّعبيرِ عَنِ المَعنى:

«أمّا الحُبُّ، أمّا السِّحرُ، أمّا الانتشاءُ الأكبرُ، فتُغدِقُها الطَّبيعةُ، هُنا، بسخاءٍ ما بعدَهُ سخاءٌ، في مِهرجانِ الأنوارِ والظّلالِ، والمياهِ والخُضرَةِ وعطرِ النّباتِ، وموسيقى الغابِ...».

5. حدِّدْ نوعَ كلٍّ مِنَ الصُّورِ البيانيّةِ الواردةِ في كلٍّ مِنَ العباراتِ التّاليةِ، ثُمَّ اشرَحْها:

- ونقلَتْ زوجةُ الكاهنِ الأكبرِ السِّرَّ إلى صديقاتِها، فالتقطَتْه آذانُ المدينةِ كلُّها.
- يَسمَعُ كلَّ همسٍ، ويَتنشّقُ الرّوائحَ مِن بعيدٍ، ويخرُقُ بصرُهُ الحديدُ عتمةَ اللّيلِ الحالكةَ.
- انتفضَتْ كالمُستفيقةِ مِن حُلمٍ جميلٍ.
- وقفَ جلجامشُ بقامتِهِ المَهيبةِ وطلعتِهِ البهيّةِ، كأنَّهُ الإلَهُ آنو نفسُه.
- إنَّكُم إلى الآنَ لَم تَعصوا لي أمراً، ولَم تُخالفوا رأياً، ولَم تَرُدّوا مَطلباً مَهما كانَ.
- لقَدْ أطَلّا علَيها معَ إطلالةِ الشّمسِ الأولى، وضبابُ الفجرِ يَنحسرُ عَنها شيئاً فشيئاً، تَتدافعُ فلولُه المهزومةُ أمامَ موكِبِ النّورِ.

6. بأيِّ معنىً جاءَ كلٌّ مِنَ الاستفهاماتِ التّاليةِ؟

- ما الحياةُ العريضةُ مِن دونِ المغامرةِ؟ أتريدُ لي أن أظَلَّ رهينَ قصري طوالَ العمرِ؟
- أتعرِفُ كَم تَبعدُ الغابةُ عَن «أورَخويَ»؟ وما مَداها؟

- إذا كانَ مقدّراً لي أن أُخفِقَ في مَهمّتي، فلماذا تبثُّ فيّ هذهِ الرّغبةَ الملحّةَ لأدائِها؟
- ثُمّ أنّى لي أن أفوزَ بمَرامي إن لَم تكُنْ أنتَ عوني؟
- متى ستَعودُ إلينا يا جلجامشُ؟ بكَمْ نهاراً وليلةً ستقطعُ المسافةَ إلى جبلِ الأرزِ؟
- ألَنتَ الّذي ناديتَني، أم استيقَظْتُ مِن تلقاءِ نفسي؟
- ما هذا الرّعبُ الّذي يستولي عليّ؟
- عجباً! أينَ ساكِنو الغابةِ؟ وأينَ حارسُها؟ أينَ أُسودُها ونمورُها؟ وأينَ طيورُها الكاسرةُ؟ أما تزالُ هاجعةً بالأوكارِ؟

7. أوّلْ بمَصدرٍ «أن وما بعدَها» في العباراتِ التّاليةِ، محدّداً محلَّ المصدرِ المؤوّلِ في الإعرابِ:
- إذا قُدّر لهُما أن يَسقُطا.
- قبلَ أن يُقدِمَ الصّديقانِ على تحطيمِ بوّابةِ الأرزِ.
- أبتْ فأسُه أن تُهويَ على الخشَبِ.
- صديقي يَوَدُّ أن يقفَ خلفي.
- انصحُكَ بأنْ تتسلّحَ.
- كانَ يَطيبُ لجلجامشَ أن ينامَ على ذيّاكَ الخريرِ.
- أيُمكِنُ للآلهةِ أن تخلُقَ إنساناً؟
- لقدِ اعتادَتْ هذهِ الرّاقصةُ أن تعيشَ في ظُلمةِ الهياكلِ الباردةِ.
- ... مِن غَيرِ أن تَرى الحَبيبَ القادمَ.
- باستطاعتِكَ أن تمكُثَ هُنا وحدَكَ إذا شئتَ.

محتوى الكتاب